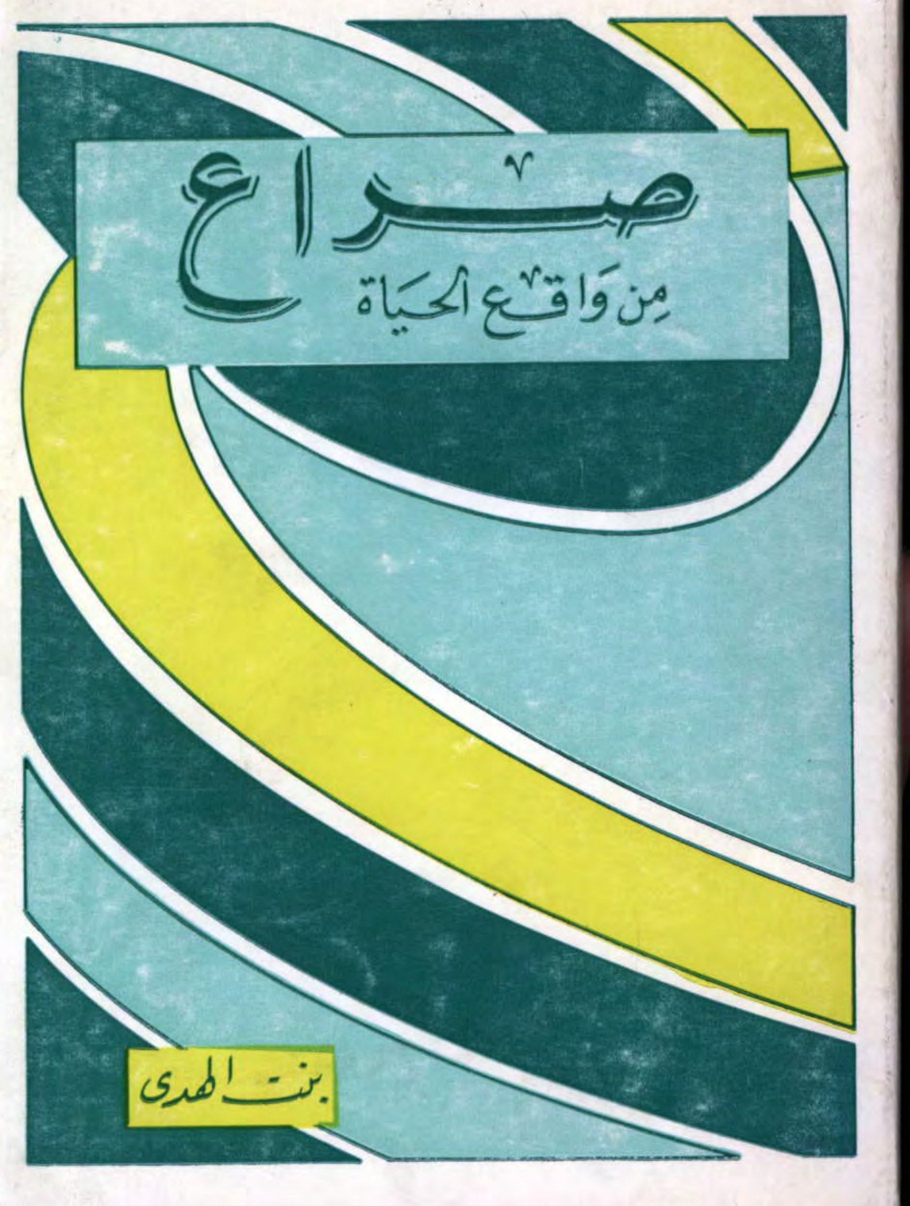

صراع
مِن وَاقِع الحيَاة
بنت الهدى

صراع ...

من واقع الحياة

مجموعة قصص

بنت الهدى



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

قارئاتي العزيزات :

ان تجسيد المفاهيم العامة لوجهة النظر الاسلامية في الحياة هو الهدف من هذه القصص الصغيرة ، لأني اؤمن بأن اعطاء المفهوم على المستوي النظري لايمكن ان يحدث من التغيير والتأثير مايحـــدثه إعطاؤه مجسداً ومحدوداً في أحداث وقضايا من واقع الحياة ، ومن أجل ذلك اهتم القرآن الكريم بأعطاء المثل والقيم عـبر صور قصصية من حياة الأنبيـاء والدعاة الى الله وما تلابسها من ظروف وأحداث .

ولئن كانت هذه القصص القصيرة في هذه المجموعة من نسج الخيال فهي منتزعة دون شك انتزاعا من صميم الحياة التي تحياها الفتاة المسلمة اليوم . ولهذا فان أية فتاة سوف تقرأ في هذه القصص أحداثاً عاشتها بشكل وآخر مباشرة ، أو تفاعلت معها ، أو مرت قريباً منها ، وسوف تجد في كل قصة الموقف الايجابي الذي تفرضه وجهة النظر الاسلامية في الحياة ، والبون الشاسع بين نظافة هذا الموقف وطهارته وتساميه وبين الانخفاض والانحطاط الذي تمثله وجهات النظر الأخرى في الحياة .

بنت الهدى

صراع

كانت فاطمة تسير وهي في دوامة من الأفكار ، تتقاذفها ، وتتلاعب بعواطفها المرهفة ، ومشاعرها الحساسة . وكانت تحث خطاها ، وتستعجل الوقت لكي تصل الى حيث تريد . الى مصدر النور والاشعاع في حياتها ، ومبعث الرضا والطمأنينة بالنسبة لعواطفها وافكارها ، فهي تشعر بشعور مبهم تتمنى لو تمكنت من التغلب عليه والتخلص منه ، ولكنها لاتزال ضعيفة وفي حاجة إلى ركيزة قوية تشدها وتأخذ بيدها لانتشالها مما هي فيه . وكانت تحدث نفسها قائلة : سوف أحدثها عن كل شيء ، سوف اشرح

لها ما الاقيه من صعوبات ، سوف اعترف امامها بأني خائفة من ان يلحقني الجبن او ان اتراجع .

وما ان وصلت الى البيت المقصود حتى اندفعت تطرق الباب في لهفة ، وهي خائفة من الخيبة ومن عدم وجود صديقتها في البيت ، وحينما انفتحت الباب اندفعت تسأل عن عفاف ، ولما علمت بوجودها اتجهت نحو غرفتها بخطوات مضطربة فتلاقت معها وهي قادمة لاستقبالها ببشاشتها الهادئة ، فتصافحتها بحرارة وسارتا حتى استقر بهما الجلوس في غرفة عفاف ، وبنغمة طيبة تصحبها رنة عتاب قالت عفاف: لقد اوحشتني طيلة الاسبوع الماضي يافاطمة فأهلا بك وسهلا . ولم تكد فاطمة تستمع الى صوت عفاف ، ونغمتها الرصينة الحنون ، حتى سكنت جذوة ثورتها وكادت ان تنسى ما أتت لاجله ، ولهذا فقد اطرقت دون ان تجيب ومرت فترة ، كانت خلالها عفاف تحدق في

وجه فاطمة حتى قرأت مشاعرها مرتسمة عليه ، ثم تقدمت بمجلسها نحو فاطمة ، وابتسمت ابتسامـة عطف وتشجيع وهي تقول أراك لست على طبيعتك يافاطمة فهل لي ان أعرف السبب ؟ وكأن هذا السؤال قد فتـح امام فاطمة باب الحديث ، فقالت وصوتها يتهدج ما أراني الا منكرة لحالي يا أختاه ، فقد تنكرت لي عواطفي ، وخانتني الشجاعة بعد أن حسبت اني قد تدرعت من ايماني بدروع تعصمني من الشيطان ، وتصد عني كل ما من حقه ان يصـل الى غايتي او هدفي من قريب او بعيد ، ولكن .... وسكتت فاطمة تحاول أن تستحضر العبارة الواضحة التي تكشف عما تعانيه ، ولكن عفاف سبقت افكارها وقد توصلت الى معرفة المحنة التي تعيشها صديقتها ، والدور الذي تمر فيه ، فقالت وكأنها تحاول ان تفتح امام فاطمـــة باب الحديث ، لتتعرف على جميع ما لديها وما تحسه من مشاعر

قالت ولكن ماذا يافاطمة ؟ قالت فاطمة ولكن شجاعتي بدأت تخونني يا أختاه ، فلم أعد اطيق هـــذه الصعوبات التي تعترض طريق الدعوة الدينية ، قالت عفاف : واي صعوبات هذه يا فاطمة ؟ حدثيني بما لديك فلست سوى أختك في الأيمان . قالت فاطمة ، لقد آمنت بواجبنا نحن المسلمات ، ومسؤوليتنا تجاه ديننا واسلامنا الحبيب ، فأندفعت أدعو اليه ، واحاول ان استنقذ من اتمكن عليهن من بنات الاسلام من الواقع المرير الذي يضللهن ، ولكن المجتمع يا عفاف . وسكتت فاطمة فقالت عفاف وماله يا فاطمة قالت فاطمة إنه مجتمع فاسد لا يقيم للمفاهيم والمثل وزنا ولا ينظر إلا من وراء منظار المصالح والغايات . هـــذا المجتمع جعلني أشعر بمرارة لم أكن اريدها او ارغب فيها قالت عفاف او كنت تحسبين ان طريق الخدمة الدينيـــة مفروش بالازهار ؟ خال من المتاعب والمصاعب ؟ نحن

الا ينبغي لنا ان ننكر وجود المصاعب والمتاعب ، ولكن من المطلوب منا ان لانحس بقساوتها ومرارتها مادمنا قد سرنا في طريق الله ، وفي طريق الحق ، ألم تسمعي قسم الفتاة المؤمنـة الـــذي ينطق عن لسان كل من مشت في طريق الله ؟

اسلامنا انت الحبيب وكل

صعب فيـــك سهل

ولأجـــل دعوتك العزيزة

علقـــم الايام يحلـــو

والآن . حدثيني بهدوء عما اثارك يافاطمة ؟ قالت فاطمة أنه ليس بالشيء المعين ياعفاف ، قالت عفاف ، ولكنه الجبن امام التيارات المنحرفة ، والخوف من الافكار المسمومـة ؟ وكانت عفاف تحاول بكلماتها هذه ان تثير الحمية في فاطمة وفعلا فقد نجحت بمحاولتها فما كادت

فاطمة تسمع كلمة الجبن والخوف حتى انتفضت مستنكرة وهي تقول : أبدا أبدا انا لا اجبن امام تيار ، ولا أخاف من فكرة ، ولكنها المضايقات ، المعاكسات ، عدم التجاوب عدم التفهم و و و . قالت عفاف وماذا أيضاً يافاطمة ؟ اكملي مالديك لاجيبك عليه : قالت فاطمة لقد آمنت أن علي أن أخدم ديني بكل صورة وبأي مجال من المجالات ، وآمنت أيضا ان العقيدة الاسلامية لا تعرف حدودا ومقاييس عدا مقاييس الدين والعمل له . . وهنا سكتت فاطمة وكأنها لاتعرف ماتريد ان تقول ، فقالت عفاف ولهذا فقد آلمك ان وجدت المجتمع لايزال يرزح تحت وطأة المقاييس الخاطئة ، وينظر للافراد بمنظار المادة وداخل أطار من القشور الزائفة ، أليس كذلك يا فاطمة ولكن لو كان مجتمعنا مجتمعا مثالياً يؤمن بالمفاهيم الاسلامية وينظر للفرد والمجتمع بمنظار الحقيقة لما استطاعت الدعوة

التي حملنا على عاتقنا مهمتها ان تصقـــل نفوسنا وتتسامى بعزائمنا من خلال صعاب الطريق ومشاكله واشواكه ولو كنا ندعو في مجتمع فاضل ونهدى بنات جنسنا في بيئـة صالحة بصورة مواكبة للتيار بدلا عن مجابهته كما نصنع اليوم لما كنا من الصابرين والصابرات الذين عنتهم الآية المباركــة « إن المسلمين والمسلمات والمؤمنـين والمؤمنات والقانتـين والقانتات والصادقـين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظـين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » (١) قالت فاطمة ولـكنهم يستهزؤن ياعفاف ، انهم يضحكون ، ويشمتون ، عندما نصبح في شدة اونمر بتجربة قاسية ، فابتسمت عفاف وهي تقول دعيهم يضحكون

---

(١) الاحزاب الآية ٣٥ .

قليلا فسوف يبكون كثيرا يافاطمة ، ألم تسمعي الآية القرآنية التي تقول « لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور (١) والآية القرآنية المباركة الاخرى ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم » (٢) . ان القرآن الكريم قد أوضح امامنا كل شيء ، وخطط لنا طريق الدعوة بما فيه من عقبات ، وبما يليه من نعيم وجنان ، اذن فنحن حينما ندعوا الى ديننا يجب أن نكون على ثقة من مواضع أقدامنا لكي لانتأرجح للعقبات ، او نتداعى امام السدود ، علينا ان نتذكر دائما المرحلة الاولى للدعوة

---

(٢) آل عمران الآية ١٨٦ .

(٣) آل عمران الآية ١٨٧ .

الاسلاميـــة ، والمصاعب والأهوال التي صادفت الرسول الاعظم (ص) ، وهو يدعو الناس الى أن يخرجوا من عبادة اصنام ينحتونهـا الى عبادة الله الواحد القهار ، ثم وهو يهذب امة بدائية تغاغلت فيها العادات الهمجية من النهب والسلب ؛ والقتل ، والسكر ، والفحشاء ، والمجون ، ويغرس فيها المفاهيم السماوية ، والاخلاق المثالية ، لتكون خـير أمة اخرجت للناس ، علينا ان نتصور محمد بن عبـد الله وهو سايل اشرف اسرة عرفتها الجزيرة العربية ، ثم وهو انبل رجل في قريش يقر له بالكمال الكبير والصغير والرفيع والوضيع ولا يسمى إلا بالصادق الامين ، علينا أن نتصور هذا الرجل العظيم وهو يبعث بالنبوة ، ويختاره الله لحمل الرسالة ، فتتألب عليه العشائر ، وتتكاتف ضده القبائل ويحاصر بالتهديد والوعيد ، وهو صامد ثابت ، لايرجع عن دعوته ، ولا يفتر عن تبليغ رسالته ، ثم يقاطع ويعزل

هو ومن معه من المؤمنين وكأنه انسان منحرف ، أوزعيم
عصابة ضالة ، ثم يتحمل اشكالا من اساليب الاهانة والاستهزاء
فيقال عنه ساحر وهو النبي ، ويقال عنه كذاب وهو الصادق
الامين ، ويقال عنه معلم وهو الذي يتلقى الوحي من السماء
ويقال عنه مجنون وهو أكبر عقل تقبل افكار النبوة . علينا
ان نتصور كل هذا ، ثم نتذكر دعاء النبي (ص) حينما
ذهب ليدعو الناس في الطائف ، فأرساوا اليـــه بأطفالهم
يستهزئون ويسخرون ، ويرمونه بالحجارة والسباب ، حتى
التجأ الى جدار هناك ورفع يديه نحو السماء وهو يقول :
« اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلـة حيلتي ، وهواني
على الناس ، يارب المستضعفين وربي ، الى من تكلني ؟ الى
قريب يتجهمني ! أم الى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن
بك علي غضب ؟ فـلا أبالي ، ولكن عافيتك هي اوسع
لي » إن علينا يا فاطمة ان نتذكر خاتمة هذا الدعاء حينما

يقول ، ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ، بعد بدايته الناطقة بالألم والاسى ، فنحن مادمنا على ثقة من صواب فكرتنا ، وصدق عقيدتنا ، ينبغي أن لانتداعى امام التهاويل والاباطيل ، او امام المشاكل والعقبات ، تذكري يافاطمة ان السيدة زينب بنت أمير المؤمنين لما وقفت على جثمان أخيها الامام الحسين في يوم عاشوراء ، وهو الاخ والحامي والمعيل ، قالت زينب وهي تقف على جثمان الامام رافعة يدها نحو السماء اللهم تقبل منا هذا القربان ، نعم يافاطمة علينا أن نتذكر كل هذا ، لكي لانستهول الاحداث التي تعترض طريقنا . وما ان سكتت عفاف حتى استعبرت فاطمة وهي تقول ، لاحرمني الله منك ياعفاف فما أنت الا بلسمي الشافي ، ومناري الهادي ، فقد اعدت لي بكلماتك الروح التي كدت ان افتقدها ، نعم أعدتيها الي ولكن بشكل ثابت لايمكن ان يتزعزع أو يتأرجح ، ماكان اغباني

وانا اندفع الى اليأس ياعفاف ؟ قالت عفاف أبدا يافاطمة انك لم تيأسي لحظة ، ولم تكوني غبية قط . ولكنها مشاعر تتولد من جراء بعض العوامل في المجتمع والمحيط . وان أحسن دليل على صمودك وايمانك انك اجتزت الى لامساعدك على الوقوف في المزالق التي لابد لك بانجادها . وانما هي نتيجة انحراف المجتمع الجاهل المسكين . ثم لماذا قد هجرت المطالعة كما هجرتيني منذ فترة يافاطمة ؟ لست قاصدة أن لم اهجرك ياعفاف ، ولكني كنت اخشى في دوامة . وكنت اخشى . وسكتت فاطمة وكأنها تردد في اكمال جملتها فأردفت عفاف قائلة كنت تخشين مصارحتي بما يختلج في افكارك يافاطمة ؟ أليس كذلك . ولكنك في هذا فقط كنت غالطة ياعزيزتي . اتخشين مصارحتي وتنطوين على هذه المشاعر دون ان تخشي من عواقبها عليك ومضاعفاتها بالنسبة لافكارك ؟ قالت عفاف هذا ثم حدقت في عين

فاطمة وهي تبتسم باطف فما كان من فاطمة إلا أن قالت كوني على ثقـة ياعفاف من اني سوف لن ادع للضعف سبيلا الي بعد اليوم ؛ واعاهدك أيضا أن ابثك مالدي من الألام والآمال ، لتكوني ملاكي الهادي كما كنت دائما وأبدا فقالت عفاف أنا لست ملاك ، يافاطمة وما أنا إلا أختك المحبة الناصحة لك ولجميع فتيات الاسلام .

صمود

لم يكد الفجر يرسم خطوطها اول خطوطه على صفحات الافق حتى نهضت مسرعة من فراش لم يجمعها واياه النوم فقد قضت ليلتها معذبة ساعاتها بالالم وتطوي دقائقها بالدموع وما ان بدت خطوط الفجر حتى شعرت به ينتزعها من فراشها ليسلمها الى ربها . ويدعوها الى ترك اليأس المرير . ويفتح امامها أبواب الامل والرجاء . في الصلاة والدعاء . ويمد اليها الروح ويقربها من الرحمن . وفعلا فقد اندفعت بهمة الى تهيئة مقدمات الصلاة . وكأنها تستعد لموعد يقربها ممن تحب . وينفتح أمامها ابواب الرجاء . وسرعان ما اندمجت مع صلاتها تاركة ورائها آلام الحياة

ومآسيها ، منصرفة الى خالقها الذي تتجه اليه ، وانتهت من صلاتها فعادت الى واقعها المرير ، وما هي عليه من حيرة قاسية تقف بها على مفترق طريقين ، طريق السعادة المادية في الدنيا الفانية ، وطريق السعادة الروحية في الصمود على الايمان والذي يصل بها الى السعادة الحقيقية في الحياة الباقية بعد ان يحقق لها في الدنيا ايضا ، مفهوم السعادة الواقعية ، الناتجة عن السير الصالح في خط الاسلام ، وتعاليمه ويبعد بها عن المشاكل والويلات . التي يجرها الانحراف عن هدى الاسلام . طريق يفتح أمامها أبواب الدنيا بمباهجها الخلابة ، واساليبها الخادعة . ونعيمها الموهوم وطريق يأخذ بيدها الى مطالع الهداية . ويثبت أقدامها على جادة الصواب . ويشدها الى إسلامها وما فيه . من مثل ومفاهيم ، وقيم . واخلاق . فيشعرها بلذة الانتصار ، ويكللها باكاليل الصمود . والثبات ، وهي بطبيعتها فتاة

مسلمـــة تأبى أن تختار الطريق الدنيوي الخادع ، ولكنها تخشى ان تضعف حيال التيارات ، او تنهار امام الوعيد والوعيد ، وهذا ماجعلها تقضي لياليهـا ساهرة تتطلع الى الفجر ببصر نافذ ، ولم تكد تنتهي من صلاتها حتى رفعت يديها نحو السماء قائلـة ، يارب انك تعـلم اني فتاة يتيمة فقدت ابوي وأنا بعـد صغيرة ، وذهب أخي الى حيث يستكمل دراستـــه في الخارج ، فخدعته أوربا بحضارتهـا المزعومة ، فنساني أو تناساني ، وانجرف وراء لهو ومجون، ولكنك وبرحمتـك يارب ، عوضتني بنور الاسلام الـذي أشرق على جنبات روحي فأضاءها ، ونفذ الى العميق من مشاعري واحاسيسي فوهبها الأمن والرضاء ، واستقر في صميم فكري فوجهه الوجهة الصالحة في الحياة ، وقد مكنتني يامولاي ، بما وهبته لي من سلاح الايمان ، وقوة العزيمة ان ارتفع بنفسي عن كل وهدة، واحتفظ بفكري وقلبي نقيين

طاهرين ، لم تدنسها الحضارة الكاذبة ، ولم يستهوهما التمدن الخادع ، بأساليبه البراقة ، ولم تضللها الفكر الوافدة ، بسمومها ، وهكذا مكنتني يارب ، أن أشق طريقي في الحياة قانعة راضية ، وكنت أشعر يا إلهي بعد كل انتصار أحرزه في مضمار هداية البنات المخدوعات أشعر بسعادة تنسيني حرماني من حنان الابوة ، والامومة ، وحماية الأخوة كنت أعوض بتلك السعادة عما الاقيه ، من قساوة عمي الذي تعهدني . هذا العم الذي يستهين بجميع ماأؤمن به من مثل ، وقيم ، ومفاهيم ، ولكن ؟ هذا الوافد الغريب هذا الشاب المائع الماجن ، الذي سحر عمي ببريق أمواله ، واستهواه باواق سياراته العديدة ، هذا الذي جعل حياتي جحيما منذ أطل على هـذا البيت ، ولاحت لعين عمي عماراته الشاهقة المرتفعة في سماء بغداد ؟ هذا الذي تجرأ على طلب يدي وهو يجهل اني لا انظر اليه من وراء

عماراته وسياراته ، بل انني انظر اليه بمنظار الواقع ، فانفر منه بمجونه ، وميوعتـه واخشاه لتحلله وانحرافه ، ولكن عمى ، هـذا الرجل المغرور ، لم يزل يتعقبني بفتاه هـذا بالوعد تارة ، وفي الوعيد أخرى ، انه يصور لي الفردوس الارضي غافلا عن فردوسك يارب ، انه يبني لي الصروح الشاهقة من الاماني والآمال جاهلا ان آمالي واماني منوطة بك وحـدك ، أنا اخشى ان افقد فردوسك إذا حصلت على هذا الفردوس المزعوم ، انا اخشى ان انحرف عن تعاليم الاسلام اذا نزلت امام رغبـة عمى وقرنت حياتي مع هذا الشاب ، ولكن الضغط شديد ، وأنا وحيدة فريدة أقاوم ، واصارع ، بدون ناصر أو معـين ، إلاك يارب حتى أخي الوحيد ، انه قد انحرف مع التيار الساحق ، ولا ريب ولا أدري ؟ فلعله لو كان حاضراً لآزر عمى وساعده على مايريد ؟ فأنا لا اعرف شيئا عن اخلاقه وما انتهى

اليه ، فقد تركني فتية صغيرة ، ولم يعد لحد الآن ، ناسيا
أن لديه اختا هي احوج ماتكون اليه ، والى رعايته وعنايته
لقد نساني أو تناساني بالمرة ، ولكنني لم انس أخي ، لقد
كنت أدعو له بالهداية على طول الخط ، فارحمني ياربي
برحمتك ، ولا تتركني انجرف الى الهاوية راضية أومرغومة
بعد قليل سوف يستأنف عمي عملية التعذيب ، ويعاود
كلمات التهديد والوعيد ، انك تعلم يا إلهي انه حبسني في
غرفتي هذه منذ يومين ، محاولا اخضاعي لما يريد ؟ ولهذا
فاني خائفة ياارباه ولكنني سأحاول الصمود ، سوف اقف
امام كل شيء ، حتى تصلني رحمتك ورضوانك ؟ وكأن
هذه المناجاة أسبغت على وفاق بعض الشعور بالراحة النفسية
بعد ان ناجت ربها القادر على كل شيء واوكلت اليــه
زمام أمرها في الحياة ، وهل هناك راحة نفسية أعمق من
راحة الانسان السائر في طريق الله ؟ وهل هناك اطمئنان

اعمق من اطمئنان الذي يسلم أمره الى الله ؟ وهل هناك شكاية اكثر تأثيرا من الشكاية الى الله ؟ وهـذا ما جعل وفاق تشعر بنعاس هو أشبه ما يكون بالاستسلام ، وفعلا فقد أسلمت نفسها للنوم بعد ليلة طويلة قضتها ساهرة ، ولكن اغفاءتها تلك لم تستمر سوى فترة قليلة فقد استفاقت على صوت عمها وهو يقرع النافذة صائحا بصوته الحاد ، ألا تزالين نائمة ياعجوز القرون الوسطى ، فنهضت مذعورة واجابت بانكسار ، نعم ياعماه فقد اخذتني سنة من النوم ، قال العم وقـد حاول ان يلطف صوته : أراك منبسطة الوجه في صباحك هذا ياوفاق ؟ لعلك قد عدت الى الحقيقة وتركت وراءك عالم الخيال ؟. فحاولت وفاق ان تبتسم ، ثم قالت لقد كنت اعيش دائما في عالم الحقيقة ياعماه ، قال العم ، ولكنها حقائق القرون الماضية ، وليست حقائق القرن العشرين ، والآن . فاذا كنت قد عدلت

عن فكرتك العفنة فتعالى لأفتح لك الباب بيدي هذه التي
سوف تفتح لك أبواب السعادة في الحياة ، قالت أنـــا
لا أريد ان تفتح لي أبواب النعيم الدنيوي لتسد أمامي أبواب
الرحمة والغفران ، انا لا ابيع آخرتي بدنياي يا عماه فارحمني
ودعني وما أريد ، فزمجر العم قائلا أنا لن أدع الفرصة
تفلت من يدي بسهولة ، أنا لا اريد ان تبقى في صومعتك
هذه متلفعة بالاغطية السوداء منطوية على نفسك مع الكتب
والاوراق ، انك تجلبين عليّ العار والشنار ، فتهدج صوت
وفاق وهي تقول أنا هكذا كنت وهكذا سوف أبقى ياعماه
قال إذن فاخرجي من بيتي فلم أعد اطيق بقاءك وانت
على ما عليه من أسلوب منحرف في الحياة ، فرفعت وفاق
وجهها نحو السماء وكأنها تطلب المعونة من الله ثم قالت
بقنوط هل تعني ما تقول يا عماه ؟ قال نعم يكفيني ما سببت
لي من مشاكل وما كدرت علي صفو حياتي بأفـــكارك

ومثلك ، انك مخيرة بين ان ترضى بهذا الشاب زوجا او ان تخرجي من بيتي على أن لا تعودي اليه ، لارى مدى ما تنفعك مفاهيمك ، ومدى ما ينصرك اسلامك الذي تدعين قرري مصيرك ياوفاق . فأطرقت وفاق برهة ثم قالت لقد قررت . قال اترضين بهذا الشاب اذن ؟ فقالت وفاق بصوت رصين . لا ، انا لن ابيع ديني بدنياي ، فثار العم واندفع نحو الباب يفتحه ويقول اذن تعالى واخرجي فلم يبق لك مكان في هذا الدار . أما واني لآسف على ما بذلته في سبيلك من جهود ، اذهبي وفتشي عن إسلامك او عن أخيك الذي اهملك وتركك بعد ان عرفت كيف يعيش ، أخرجي بسرعة ، فلم أعد اطيق بقاءك في البيت وكان العم يتكلم ووفاق تلبس ابرادها للخروج ، ولم تكن تملك من مال الدنيا شيئا عدى حلية ذهبيــــة فحملتها في حقيبتها ثم انثنت الى مكتبتها الصغيرة فاختارت منها المصحف

الشريف ، وبعض الكتب الأسلامية ، ثم توجهت الى عمها قائلة ألا تزال تصر على رأيك ياعماه ؟ ألا تندم على ماأنت مقدم عليه ؟ فأزبد العم قائلا أبدا أنا لن اضمك في بيتي بعد الآن ، فلم يعد هناك من أمل ، فاخرجي وفتشي عن إسلامك ومفاهيمك ونادى اليك أخاك الذي أهمل وجودك وتناساك ، فرفعت وفاق طرفها نحو السماء ثم قالت وهي تتقدم نحو الباب نعم اني ذاهبة ياعماه ، واني لسعيـــدة لانتصاري هذا ، فقد أكمل الله نعمته علي . والهمني القوة في العقيدة ، والثبات على الاسلام ، فوداعا يا عماه ، وكانت وفاق تنتظر ان يرجع عمها عن قراره في آخر لحظة لكنه شيعها بكلمات السباب حتى توارت في منعطفات الشارع ، وهناك ، شعرت وفاق بضيعة ما فوقها ضيعة ، انى عساها ان تذهب ؟ والى أية ناحية تتجه ؟ وقد غدت وحيدة في هذا العالم الواسع ، غريبة عن مجتمعها الذي يحيطها ،

المجتمع الذي تستنكر عليه أعماله ، ويستنكر عليها أعمالها، وتنقم عليه لفساده ، وينقم عليها لصلاحها ، فرانت عليها سحابة يأس مريرة اسلمتها لحيرة قاسية ، وفيما هي غارقة في لجة الانفعالات طرقت سمعها نغمة محببة وهي ترتل آيات القرآن الكريم ، وانتبهت على المقرىء وهو يتلو هذه الآية « أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب » (١) ، فشعرت وكأنها هي المخاطبة في هذه الآية وتجدد في قلبها الامل وهي تستمع الى وعد الله بالنصر فاستعادت في لحظة بإيحاء من هذه الآية المباركة جميع مالديها من عزيمة ، وكل ما تملك من ثبات ، وفكرت الى اين تتجه ! ولكن بروح مشرقة ونفس مطمئنة .

---

(١) البقرة ١١٤

فخطرت لها صديقتها وداد : ماذا عليها لو ذهبت الى هناك وطلبت منها ان تكاتب اخاهـا بالبحث عن أخيها الغائب ؟ فقد كان صديقه قبل ان يسافر ولعلها ان وجدت أخاها او عرفت بمكانه سوف تتمكن ان تكتب اليه وتطلب منه ان يعود بعد ان تحدثه بما هي عليه ، وفعلا فقد اتجهت الى بيت صديقتها وداد وخيوط الامل تداعب اوتار قلبها ووصلت الى هناك : وما طرقت الباب حتى فتحتـه لها وداد ولم تكد تراه حتى احتضنتها بلهفة وشوق بالغين ، وراحت تقبلها وهي تردد قائلة تهاني لك على هذه البشرى السارة ياوفاق على الله لقد استطارت لها فرحا من اجلك ومن أخيك . فأنكرت وفاق على صديقتها هـذه التهاني والتبريكات وتساءلت في حيرة عن أي شيء تهنيني ياوداد فانبرت وداد تقول او لم تصلك رسالة من أخيك ياوفاق ألم تعلمي انه في طريقه الينا وانه سوف يصل اليوم اوغد

وكانت هذه البشرى السارة اكثر مما تتحمله وفاق فتهاوت
بين يدي صديقتها وهي تردد : احقا ماتقولين ؟ فاخذت
وداد بيدها وقادتها الى غرفتها حيث جلستا هناك وما ان
استعادت وفاق رشدها من اثر المفاجأة حتى خطر لها أمر
طالما انها ما غفلت عنه وهو ان أخاها قد انجرف مع
التيار . وتلونت نظرته للحياة بالمنظار الغربي ، اذن فهو
صورة ثانية عن عمها الذي تركاه قبل ساعة . فالتفتت
نحو صديقتها تقول بجد رصين وكيف علمت ذلك ياوداد
وهل عرفت أي شيء قد دعاه الى العودة ؟ فقرأت وداد
ما دار في خلد وفاق فابتسمت لها مشجعة ثم قالت لقد
كتب الى أخي يقول انه لم يعد يستطيع البعد عنك بعد
لأن وبعد أن عاش حياة الحضارة المزعومة ، واطلع على
مآسيها وفواجعها . وتعرف على أمراضها وسمومها . وانه
سوف يعود ليحميك من شر الحضارة الخادعة ، والتمدن

المزعوم ، هاك ورسالته فاقرأيها ليطمئن قلبك ياوفاق وكانت الفرحة قد استولت على وفاق فلم تعد تتمكن من القراءة فها هو الله تبارك وتعالى يستجيب لها وينصرها في احرج لحظة . وهاهو اسلامها يشد ازرها كما كانت ترجو وتأمل وهاهي مثلها ومفاهيمها تنتصر وتعيد اليها الاخ الغائب بعد ان كفر بأفكار أوربا وحضارتها الموهومة ، فطلبت من وداد ان تقرأ لها الرسالة فقرأت لها وداد رسالة الأخ وقد جاء فيها : لقد انخدعت ياصديقي فترة من الزمان، ظننت فيها ان هذه الحياة المائعة هي الطريق الى السعادة وقد شغلتني دنيا الغرب ببهرجها ، وصرفتني عن واجبي نحو نفسي ونحو اختي التي تركتها صبية صغيرة ، وانا اقر لك بذلك ياصديق الطفولة والفتوة . ولكن لاعجب فقد نسيت نفسي أيضا ووضعتها على مذبح الشهوات ، وكان ان أخذت الحقائق تنكشف لي واحدة بعد أخرى فاذا

بهذه العمارات المناطحة للسحاب الساهرة للصبح على قرع الكؤوس وضرب الدفوف اذا بهـا تضم افضع المآسي واهول المصائب ، واذا بهذه النوادي الزاخرة باشكال اللهو والمجون ماهي إلا احابيـــل تضايل للشباب المخدوع ، وعملية وأد لمستقبلـــه وكيانه في الحياة ، واذا بهذا الجيل من النساء المزهوات بالمساواة مـع الرجل اذا بهن لسن سوى سلعة رخيصة جدا بين أيدي الرجال يتحكم فيهن الرجل كما يريد ويبرزهن بالشكل الذي يهوى ، واذا بهذا الصخب في الحياة العامة ، وهذا الركض وراء كل مايسمى حضارة ، وكل مايسمى تمدن ، اذا به يخفي هما دفينـا ، ومشاكل كبار ، يعج بها المجتمع الغربي وكل من سار على شاكلته ولهذا فقد انتبهت الى نفسي وعدت بفكري الى اختي التي لاريب انها الآن قد بلغت الروعة في ريعان الشباب والفتوة فخشيت عليهـا مصير هذه الفتيات ، وخشيت عليها ان

تنحرف مع التيار الذي أخذ يغزو البلدان الاسلامية تحت اسماء مستعارة من التمدن والتقدم ، فعزمت ان أعود الى وطني لأحمي اختي ، واصونها بمهجتي عن الانحراف ، نعم انا أريد ان أعود ، لآخذ بيـــدها نحو جادة الصواب ، ولنذهب معا نلتمس السعادة الواقعية في تعاليم الاسلام .

ثبات

كان المساء كئيبا تلبدت سماؤه بالغيوم ، وزمجرت الريح فيه تنذر بقرب هبوب العاصفة ، وقد ضمت خديجة اليها اولادها الثلاث في غرفة متواضعة وهي تفترش بساطاً باليا لم يبق من معالمه شيء ، وكانت ترفع طرفها الى السماء خلسة عن أطفالها لتتابع تطوراته خشية ان تهب العاصفة قبل أن يعود زوجها من الخارج ، حتى سمعت صوت المفتاح وهو يدور في الباب فنهضت مسرعة وأهابت بأطفالها قائلة قوموا فاستقبلوا أباكم فهتف صغيرهم قائلا وهل جاء لنا بالخبز يا أماه ؟ فنهرته بلطف قائلة ان هذا لابيهم لاتلق عليه هذا السؤال . واندفع الأولاد نحو

الأب مهللين ومعهم أمهم وقد انطبعت على وجهها ابتسامة طيبة وكأنها لم تكن تعيش ساعات القلق المريرة من قبل وكان الأب يحمل على يديه بعض الارغفة من الخبز مع قطعة من الجبن فسارعت الام الى استلامها منه ولم تمض فترة حتى أعدت وجبة العشاء المتواضعة في أوان نظيفة وان كانت قد فقدت لونها لكثرة الاستعمال ، وتحلقت الأسرة حول هذه المائدة البسيطة وحاولت الأم ان توجد جوا من المرح والسعادة بين افراد الاسرة وما أن فرغوا من الطعام حتى استسلم الاطفال لنوم عميق يحلمون فيه بأنواع الحلوى واشكال العرائس واللعب ومضت فترة سكوت على الأبوين ثم قطعها الاب قائلا في مرارة :

وهكذا ترين هذه السنة وهي تكاد تنتهي دون ان أحصل على عمل ، وقد استنفدنا كل ماكنا قد أدخرناه وبعنا ماتمكنا من بيعه من أثاث البيت ، ولم يبق لدينا مايمكننا

من مقاومة الجوع ، فقالت الام بصوت حاولت أن تجعله متفائلا لقد بقي لدينا الايمان ، وبقيت لدينا الارادة ، وهما الطريق الى كل خير وسعادة ، فقال الأب واي خير وسعادة ونحن نرى الايمان يجرنا إلى أن نجد اولادنا يتضورون جوعا في اسمال بالية ، أما ورى انه الايمان الذي جعلني اتحمل هذا الشظف من العيش وانها الهداية التي جرعتني كؤوس الفقر والحرمان واحدا بعد واحد ، فقد كنت اتقلب في بحبوحة من العيش قبل أن .. فقطعت الأم كلام زوجها قائله واية بحبوحة تلك ؟ ومتى كان القمار رصيدا للأسرة ؟ وما قيمة الغذاء الذي يملأ الجوف نارا ؟ والكساء الذي تعقبه سرابيل النار ؟ نحن لم نكن سعداء ومصيرنا تحدده الصدفة او الخدعة ، نحن لم نكن سعداء حينما كنا نشبع على حساب جوع غيرنا ، ونلبس في الوقت الذي يتعرى فيه سوانا ، أية سعادة في ذلك الجحيم ؟ قال الأب

ولأجل هذه المفاهيم اقلعت عن القمار ، ولأجل هذه المفاهيم أيضا وصلنا الى مانحن عليه ، قالت الأم ان لقمة خبز يابسة نأكلها ونحن بها احقاء لهي افضل بكثير من الموائد العامرة بأطائب الطعام نأكلها بعد ان ربحنا ثمرها على الموائد الخضراء ، وبعد أن سبب ربحنا الخسارة لسوانا من الناس ما أهمية أكلة لذيذة اوبزة انيقة يعقبها عقاب الله ، قال الأب أنا اعرف كل هذا ياخديجة وأنا احمد الله الذي هداني للايمان واشكرك لمساعدتي على النهوض من ذلك الحضيض ولكن حياة الفقر مريرة وعذاب الحاجة لايطاق . . قالت خديجة مهما كانت حياة الفقر ياحسان فهي حياة زائلة يخالطها الأمل ويعتمل بها الرجاء وقد يعقبها اليسر اويتبعها الرخاء ولكن الحياة الاخرى الحياة الحقيقية التي لاتنتهي ولا انقضاء لها تلك الحياة التي يجب ان نحسب لها حسابنا ونهيء للرحيل اليها أمتعتنا من الاعمال الصالحة الخيرة ، فلا تأسف على

مافات ، واحمد الله على ما أعده لك من نعيم التوبة ومثوبة الصبر على الفاقة وسبيل رضاء الله واجتناب معاصيه ، ولا تدع لليأس اليك سبيلا . قال الأب أنا لست يائساً ياخديجة ولكني اخشى ان أنهار امام هذه الصعاب فيزلني الشيطان وأعود الى ما ابتعدت عنه . قالت الأم لاتزال لدي حلية حرصت عليها كذكرى لزواجنا وسوف ابيعها منذ الغد ونعيش بثمنها لفترة من الزمان سيمدنا الله خلالهـا بعونه ويفتح امامك طريقا للعمل الحر الشريف ، قال الأب اذن فلاكن على ثقة من نفسي الى فترة أخرى ! قالت الأم نعم كن على ثقة ياحسان فان الله لن يترك عباده ييأسون من رحمته ، ولا يزال في الدنيا أشخاص يثمنون الاعتدال ويقدرون الصلاح ، وسوف ترى كيف يبتسم لك المستقبل ويفتح لك الحظ السعيد ذراعيه ، فتأوه الأب ثم قال اذا صحت امالك ياخديجة فما هي الحكمة من هذه الازمة التي

نجتازها ؟ فقالت الأم انها فترة اختبار ومرحلة تجربة لك ولنا جميعا ألم تسمع الآية التي تقول « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين (١) فقال الأب ومتى سوف هذه تنتهي الفترة القاسية ؟ قالت الام متى ما اجتزنا الامتحان بنجاح فقال الأب وما هو النجاح المطلوب ؟ قالت هو ان نتحمل آلام الجوع وويلات الفقر دون ان نمد أيدينا الى المال الحرام واني لعلى ثقة من أن فترة الامتحان تكاد ان تنتهي بنجاحنا والحمد لله . . والى هنا انتهى حوار الزوجين فاستسلما للنوم وقد أوكلا امرهما لله الواحد القهار ، واستفاقت الأم عند طلوع الفجر فأيقظت الأب ليؤديان صلاة الصبح ثم انصرفت الأم لتهيء الشاي قبل ان يستيقظ الأطفال وانهمك الاب يقرأ بعض سور القرآن الكريم واشرق

---

(١) البقرة ١٥٥ .

الصبح ، واستفاق الاولاد ، فقدمت الأم لهم أكوب الشاي ولكن أحدهم احتج قائلا اين الخبز اذاً ياماما ؟ ان صديقي حامد وأخوته يفطرون على الخبز والزبد والبيض في كل صباح ، فشعرت الأم بفؤادها وهو يتمزق لوقع هـذه الكلمات ، ولكنها طبعت على قسماتها ابتسامة جريحة وقبلت طفلها وهي تقول سوف يكون افطارك منذ الغد كما تحب وتشتهي يا عزيز الروح ان شاء الله ، فتساءل الطفل ببراءة لماذا قلت ان شاء الله ياماما ؟ قالت الأم لأن الله هو الذي يرزقنا يا ولدي وهو الذي يمكننا من تهيئة الغداء والكساء ، ولولا ارادة الله تبارك وتعالى لما تمكنا حتى من استنشاق الهواء ، فقال الطفل وهل سوف يرزقنا الله الخبز والبيض عند الافطار ياماما ؟ قالت الأم نعم نعم ياولدي ان ذلك سوف يكون ان شاء الله ، وكان الأب يستمع الى ما يدور بين ابنه وزوجته وهو مذهول امام قوة الايمان

التي تشد هذه الزوجة الصالحة ورأى ان عليه ان يؤازر هذه الأم المجاهدة ويساعدها على بعث روح الأمل والثقة في نفوس الاطفال فبدأ يتحدث اليهم عن المستقبل ، وكيف ان الله سوف يهديه الى عمل يدر عليه الربح الكثير ، فيشتري لهم مايشتهون ، من الحلوى ، والفواكه ، فيأكلون كما يأكل حامد واخوته ، ويلبسون كما يلبسون ، وما أن اتم حديثه الذي استحوذ على اهتمام الاطفال حتى سمع طرقا على الباب فتوجه ليفتح الباب وهو يتساءل في سره عن الطارق ؟ وقد قلّ من يطرق بابه بعد أن انفصل عن جماعة اللهو والمجون ، وكأن قلب الام قد آمل ان تكون هذه الطرقات فاتحة خير في حياتهم فوقفت في مكانها تنتظر ومضت فترة ليست بالقصيرة وان كانت في حساب الانتظار طويلة جدا وعيون الام متجهة الى مدخل الدار ، وعاد الاب وقد تهلل وجهه واشرقت اساريره فاندفعت

اليه الام وهي تقول ظني بأن فترة امتحاننا قــد انتهت باحسان فأخذ بيدها في حب وخشوع وقال نعم ياشريكة حياتي ، ورفيقة آلامي وآمالي ، نعم ياعزيزتي ، لقدانهى الله تبارك وتعالى فترة الاختبار واجتزناها بنجاح والحمد لله ، ولكن بجهودك وبصمودك وايمانك . . حقا لقــد تمثلت فيك كلمة امامنا جعفر الصادق حينما قال « المرأة الصالحة خير من الف رجل غير صالح » ويبدو ان انكشاف الازمة كان بتوفيق من الله تبارك وتعالى وبسبب من جهودك أيضا ؟ وهنا قالت خديجة بصوت تهدج من التأثر لعله كان رسول الحاج صاحب الباك ؟ قال بل انــه الحاج صاحب نفسه ، إنه زوج صديقتك أم جهاد ، وكان يقول انه منذ مدة يفتش عمن يتمكن ان يأتمنه على ادارة تجارته ومساعدته في انجاز الاعمال وقد علم متأخرا من زوجته بحاجتي الى العمل وبملابسات وضعي الماضي ، والحاضر ،

فرأى ان عليه ان يختارني أنا دون سواي ، ليكون الأداة
التي يهيأها الله لانتشال عباده الصابرين من وهدة اليأس
والقنوط ، وقد قال ضمن ما قال انك الآن اطهر واعف
من سواك لأن التائب عن الجرم يكون كمن ولدته أمه .

مقاييس

انتهت السيدة سعاد من ارتداء ملابسها وهي تستعد للذهاب الى الاحتفال بمناسبة زفاف بنت صديقتها المفضلة ام سلام ثم جلست على أحد الكراسي تنتظر بنتها دعاء وكأنها عادت فشكت في حسن مظهرها فاتجهت من جديد الى المرآة ووقفت أمامها مليا ثم استدارت لتطمئن من أناقتها ثم عادت الى جلستها تنتظر وكأنها استبطأت ابنتها فقرعت جرسا الى جوارها دخلت على أثره خادمة شابة قد جمعت شعرها على شكل تسريحة عالية وارتدت (فستانا ميني جوب) مفتوح الصدر ، يكشف عن النصف الاعلى من النهدين ، وصبغت شفتيها بالروج الاحمر ، فنظرت

السيدة سعاد اليها برضاء ، وتأملت أناقتها بدقة ثم قالت أراك قد انتهيت من استعدادك قبل سيدتك ياسنية ؟ اذهبي وقولي لها ان أمـــك تنتظر ، فان الطريق بعيد ، ويلزمنا ساعة من الزمان حتى نصل الى هناك ، ومن الضروري أن نكون أول الوافدات لصلتي الوثيقة بالام وصلة دعاء بالعروس . فاستدارت الخادمـة في غنج وهي تقول أمرك يامدام ، ورأت السيـــدة سعاد ان تستغل فترة انتظارها لتتأكد من اناقتها ومكياجها من جديد فتوجهت الى المرآة والقت نظرة عامة على ملابسها ، ومكياجها ، وتسريحتها ثم عادت الى جلستها وهي تتأفف لتأخر ابنتها ، وتمتمت تقول ان الساعة تقارب السابعة والنصف ويلزمنا ساعـــة للطريق وسوف يبدأ الاحتفال في الساعة التاسعة وما كادت تتم كلماتها حتى دخلت سنية وهي تتأود في مشيتها بدلاعة فنظرت اليها السيدة سعاد مستفهمة فابتسمت البنت في مكر

وقالت ان الست دعاء سوف تتهيأ ياستي ، فاستشاطت
السيدة سعاد وهي تقول : ماذا ؟ سوف تتهيأ ؟ اذن ماذا
كانت تصنع لحد الآن فتمايلت سنية ثم ضحكت وهي تقول
كانت تصلي قالت السيدة سعاد : كانت تصلي ؟ اذن
فلم تكن تستعد طيلة هذه المدة ؟ يالشذوذ هذه البنت
المسكينة ، ثم أردفت السيدة سعاد قائلة اذهبي اليها مرة
ثانية ياسنية وقولي لها ان أمك لن تنتظر أكثر من عشر
دقائق أخرى فذهبت سنية ثم عادت لتقول انها آتية
يامولاتي فأثارت هذه الكلمة السيدة سعاد ونهضت واقفة
وهي تقول ماذا تقولين ؟ وكيف تمكنت من الاستعداد
خلال هذه الفترة القصيرة ، لاشك أنها سوف تجلب
علي العارفي هذه الحفلة ، اسفي عليها وعلى جمالها الرائع
وهي تمحو معالمه باهمالها وشذوذها ، وللمرة الرابعة اتجهت
السيدة سعاد نحو المرآة وكأنها تريد ان تعوض بأناقتها عن

اناقة ابنتها وما أن عادت من امام المرآة حتى رأت ابنتها
داخلة وقد انطبعت على قسماتها بسمة ملائكية زادتها جمالا
وبهاءا وهي تقول : ها أناذى على استعداد ياأماه ، ولكن
السيدة سعاد تسمرت في مكانها وهي تتأمل ابنتها بعين
ناقدة ثم انفجرت تقول بتهكم طبعا طبعا انك على استعداد
وأي استعداد هذا أوسوف تذهبين الى الاحتفال بهذا الثوب
الطويل المغلق ؟ ومع هذا الشعر البسيط المهمل ؟ وبهذه الاكمام
الطويلة؟ ثم اين المكياج ؟ وهل هناك فتاة لاتعرف ان ترسم عينيها
وشفتيها غيرك يامسكينة ؟ لقد أخرتيني طيلة هذه المدة
وقد كنت آمل ان تكوني مشغولة باعداد نفسك للحفلة
فاذا بك كنت تصلين ، ثم تقولين باعتزاز هااناذي على
استعداد ، وكانت دعاء تستمع الى أمها بهدوء ، وبعد ان
انتهت الام من حملتها الثائرة قالت دعاء بصوت مؤدب
اما أني كنت أصلي فان الواجب الذي كان يحتم على ذلك

لأني سوف لن اتمكن من الصلاة خلال الاحتفال وسوف لن ينتهي الاحتفال قبل نهاية وقت الصلاة ، وأما ثوبي فهو ليس بالطويل يا اماه أبدا ولكنه ليس ميني جوب واما شعري فهو مصفف بشكل بديع ولـكن بدون أن أجلس ساعات في صالون الحلاقة استمع الى انغام الموسيقى والوث شعري بمختلف أنواع المواد ، واما المـكياج ، فأنا لا أجهل طريقة وضع المكياج يا أماه ولكني لااشعر بالحاجة الى ذلك ولا أريد ان اعتمد عليه في ابراز شخصيتي بين المجتمع ، فهزت الأم رأسها بأسف وتبرم وتمتمت تقول دعينا نمضي قبل ان ترتقى المنبر وتمطر ينا بسيل من المواعظ والحكم كعادتك دائما ولكني احس بمرارة الاسف وأنا أرى سنية تفوقك زينة واناقة ، فقالت دعاء اذا كانت المقاييس تقاس بهـذا الشكل من الاناقة فان لسنية كل الحق أن تتقدم علي في هذا المضمار ، قالت السيدة سعاد الواقع اني

لست ادري كيف ستقابلين وجوه المجتمع من سيـــدات وسادة هناك ! وبأي صورة باهتـة سوف تظهرين وسط أجواق المطـربات والمغنيات ؟ فردت دعاء بهـــدوء ان الاحتفال ليس بمختلط يا أماه ولو كان مختلطا لما ذهبت اليـــه بأي حال من الاحوال ، ثم ليس هناك أي جوق غنائي ، أو أي مجموعـة طرب ، فقهقهت السيدة سعاد وهي تقول مستهزئة اذن فان الدعوة لأجل القاء خطاب ديني في فضـــل الحجاب ؟ فكتمت دعاء غيضها وقالت بهدوء : لا ، ليس هناك خطاب ديني ولكنه اجتماع لوداع العروس قبل رحلتها الى شهر العسل ، ولاحظت الام ان دعاء تتكلم بجد وانها مستعدة لاطالة الحديث ، فخشيت ان تتأخر عن بداية الاحتفال فقالت تريد ان تنهي الحديث هيابنا الآن ، وخلال الطريق حدثيني بما لديك من أخبار الاحتفال ، فاتجهت دعاء الى حيث اتت بمعطف اسـود

طويل فضفاض وارتدته ثم لفت حول رأسها طرحة سميكة سوداء وكانت أمها قد اعتادت ان تراها في هـذا الزي ولذلك لم تعترض من جديد واستقلتا السيارة ومعها سنية تحمل علبة فيها وسائل مكياج سيدتها لتصلح مايفسد من مكياجها خلال الطريق ، وبعد أن قطعت السيارة النصف الأكثر من الطريق سألت السيدة سعاد ابنتها كيف عرفت ان الحفلة غير مختلطة يادعاء ؟ وانها خالية من الاجواق الغنائية ، قالت دعاء كان من المفروض أن تكون الحفلة مختلطة وان تقام في احد النوادي العامة وذلك تمشيا مع ذوق السيدة أم العروس ، ولكن صديقتي العروس ابتهال وهي فتاة مؤمنة قوية في ايمانها كما تعلمين ، أبت ان تكون حفلة زفافها على هذا الشكل من التحدي لاحكام الشريعة وآداب الاسلام ، وحصل صراع ، بين الأم والبنت ولكن انضمام فكرة العريس الى فكرة العروس ، وإصرار ابتهال

على الغاء الاحتفال بتاتا ، جعـل أم العروس تنزل امام رغبة ابنتها وتجعله احتفالا خالياً من كل انواع التفرنج ، وكانت السيدة سعاد تستمع الى ابنتها وعلامات الاستغراب بادية على ملامحها ثم قالت وهل ان العريس مثل العروس يحمل نفس الافكار الرجعية ؟ فابتسمت دعاء بمرارة لعبارة امها القاسية وقالت طبعا انه مثلها من ناحية الايمان والاعتدال ولو لم يكن كـذلك لما رضيت به زوجا فالفتاة المؤمنـة لاتقرن حياتها مع زوج ماجن لايماشيها بأفكارها وعقيدتها لأن اختـلاف الافكار هو أقوى معول في هـدم الحياة الزوجية ثم كيف تعتبرين هذه الافكار افكارا رجعية وهي من صميم ديننا وقـد نص عليها قرآننا ، ان افكارنا هي الافكار الصالحة ياأماه ، وان فكرة السفور والاختلاط هي الفكرة الرجعية التي تعود بالانسان الى العهود البدائية حيث لاشريعة سماوية ، ولا مباديء انسانية ، وكأن حديث

دعاء كان قد أثر على أمها لأنها ردت عليها قائلة ولكن بغير حماس ان الحضارة تدعو الى ذلك يادعاء ، قالت دعاء أية حضارة هذه يا أماه انها حضارة مبطنة بالمآسي والأهوال مغلفة بالاغافــة البراقة التي تخفى وراءها عوامـل الشر ، والنزعات الحيوانية ، والأغراض الشخصية ، نحن لانؤمن بهذه الحضارة الخادعة يا اماه ، قالت الأم بنغمة لاتخلو من أسف ولكنه المفهوم العام في زماننا هذا ، والمقياس الذي تقاس به الشخصية يادعاء، فردت دعاء بحماس ولهذا فنحن نسعى الى ابطال هـذا المفهوم ، ونحاول ان نثبت للمجتمع أن في امــكان الفتاة ان تبرز لسبب من كمالها الشخصي وليس على حساب وسائل المكياج ومستحدثات الموضة ، فهي حينما تبرز بكمالها المستقل تشعر بلذة الكمال ونشوة الانتصار ، خلاف مالو برزت على حساب تخطيطات مصممي الازياء وواضعي خطوط المكياج فهي حين ذاك

تكون وسيلة للعرض لا اكثر ولا اقل ، وعند هذا وصلت السيارة الى باب الاحتفال فما كان من الام الاوربتت على ظهر ابنتها قائلة بارك الله فيك يادعاء ، ليتني اتمكن ان اكتسب منك هذا اليقين ، وهذه الروح المطمئنة الواثقة .

مذكرات

١ / ٢ / ـ١٩٦

لقــد عشت بالامس ساعات عصيبة تقاذفتني فيها عوامل القلق ودانت علي خلالها سحب اليأس ، انها كلمات لمياء ، حينما البت علي بنات الصف وهي تقول .. ما أرى حجاب هدى إلا ضربا من افكار المراهقة الطائشة انهــا تحاول بذلك ان تجلب اليها الانظار ؟ كانت هذه هي كلمات لمياء التي اسلمتني الى حالة نفسيـة مريرة شككت خلالها الى فترة في حقيقــة مشاعري الذي جعلني اعيش تلك الساعات القاسية . بالله ما اقسى ان يشك الانسان في يقينه او يتردد في واقعه ، نعم انه لشعور مؤلم ، ومؤلم جـدا

عفا الله عن لمياء ما اقساها وهي تكيل الاتهامات للبنات المؤمنات ، لقد جعلتني كلماتها أعود الى الدار وكل ذرة في كياني تنطق بالحيرة ، والقلق ، والألم ، ثم راجعت نفسي بعد أن تمكنت من تهدئة عواطفي الثائرة ، راجعت نفسي لارى مدى ماتعنيه بالنسبة لي كلمات لمياء ، وناقشت الموضوع من شتى نواحيه ، فرأيت اولا ، ان دور المراهقة ليس دور الشذوذ في الافكار كما تدعى لمياء ، وانما هو دور النمو نحو الكمال الجسمي والعقلي وان الفكر يتفتح خلال هذه الفترة كما لايتفتح في فترة سواها . وذلك بعد أن يكون قد تخلص من شوائب الطفولة ولم يتعب بعد من جراء تضارب افكار الحياة ، اذن فان فكرتي في خصوص الحجاب لايمكن لها ان تكون فكرة ناجمة عن شذوذ فكري ، ثم رأيت ثانيا ، ان لفت الانظار لايتأتي بسبب من هذه الابراد التي أتلفح بها بل العكس تماما ،

فقد سبق ان مارست اساليب لفت الانظار ، وذلك قبل ان يهديني الله للايمان ، ورأيت كيف كانت أنظار الرجال تلاحقني بندائها الصارخ ايما اتجهت ، اني كنت المح في وجوههم جوعتهم الشرهة وتلذذهم بالعرض الجاهز السخي ولكن ، الآن ما الذي عساه يلفت اليه انظارهم من هذا الحجاب ؟ ثم حتى لو لفت نظرهم فانـــه سيعود اليهم خائبا وهو حسير ، سوف تكون كل قطعة من هذه الابراد رادعا لهم عن انتهاك محراب الطهر وتدنيس الكيان المقدس ثم فكرت ثالثا ان لمياء لم تكن تعني ماتقول ، ولـكنها كانت تحاول بذلك ان تثبت قدمها في الطريق الوعر الذي سارت عليه .

وبعد كل هذا لم أعد اشعر بوقع كلمات لمياء ، ولم يعد لدى أثر منها عدى الاسف على شبابها ان يصبح في مهب الريح ، ودعوت الله ان يساعدني على التمكن من

هداية لمياء ، وجرها الى طريق الصواب ، ونمت وأنا افكر في احسن طريقة أمد بها يد العون الى لمياء ، وقد اصبحت اليوم وانا أشعر براحة نفسية عميقة فقد صممت ان أجاهد من أجل لمياء ، حتى اهديها سواء السبيل ان شاء الله .

٥ / ٢ / - ١٩٦

لقد كنت بالأمس على موعد مع صديقتي ولاء ، وكان من المفروض ان تزورني عصراً لأجل ان نستذكر دروسنا ونستعد للامتحان ، ولكنها لم تحضر ، وانا جد قلقة من أجلها انتظرتها حتى يئست من قدومها ، حاولت ان انصل بها تليفونيا فلم اتمكن ، قضيت الليل كله قلقة من أجلها ، ولكنها اتصلت بي قبل ساعـــة وقالت انها كانت محمومـــة ولذلك لم تتمكن من الحضور ، فدعوت الله ان يشفيها ويمن عليها بأبراد العافية .

أنا احب ولاء جدا وان كانت معرفتي بها لاتتعدى

السنة ، ولكنها فتاة مؤمنة ، متدينة ، فاهمة ، انها تشاركني افكاري ، وتعيش معي آمالي واحلامى ، لقد جمعتني واياها الصدفة في بداية العام الدراسي ، فجذبني نحوها ايمانها ، وجذبها نحوى ايماني ، فتعارفنا وكأننا لم نتجانب من قبل ما اصدق قول الشاعر حينما يقول :

قد يجمع الرأي اشخاصا وان بعدوا

وقــد يفرق خلف الرأي أخوانا

٦ / ٢ / ـ ١٩٦

اليوم هو اليوم الذي نعقد فيه اجتماعاتنا الدينية من كل اسبوع ، نقرأ القرآن الكريم ، ونفسر آياته ، ونتمرن على تهيئة المواضيع الاسلامية ، والقاء المحاضرات الدينية ، ولا أدري هل سوف تحضر ولاء ؟ ام ان حماها سوف تعقها عن ذلك ؟

٧ / ٢ / – ١٩٦

لقد كان اجتماعنا ناجحا ، وقد كانت ولاء هي أولى الوافدات ، مع انها كانت محمومـــة ، وتشكو من بعض الآلام ، ولكنهـــا قوة الايمان ، هي التى دفعت بها الى الحضور .

واذا حلت الهداية قلبا

نشطت للعبادة الأعضاء

لله در ولاء ، لقـد تحدثت فأبدعت واندفعت في البيان فأجادت ، وكأنها انصرفت عما تعانيه ، وحلقت بروحها وفكرها نحو هدفها الاعلى ، الدعوة الدينية .

١٣ / ٢ / – ١٩٦

لقد تحدثت في اجتماع الامس حول موضوع لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وبعد الانتهاء من الحديث قالت احدى الاخوات المؤمنات ان امها تحاول ان تفرض عليها خلـــع الحجاب في بعض الحالات وتوهمها انها مادامت

مؤمنة يجب عليها اطاعة امهالان ذلك مفروض عليهامن قبل الله ، والحقيقة انني قد تألمت لحال الأم الضالة ، وحال البنت المسكينة ، التي تحاول امها ان تجعلها ضحية تحت شعار اطاعة الام ؟ ثم اكدت عليها من جديد ان لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق حتى ولو كان المخلوق أما اوأبا .

٢٥ / ٢ / ـ ١٩٦

منـذ فترة وأنا أحاول أن أتقرب الى لمياء لغرض التمكن من هدايتها ، وما أكثر ماعانيت من هذه ، وما أكثر مالاقيت من كلماتها الجارحة ، ولكنني ولأجل غايتي المنشودة كنت اتجرع كل ذلك بصبر واناة ، كنت احدثها بهـــدوء وهي تجيب بثورة ، وانظر اليها بابتسام ، وهي تواجهني بالتقطيب ، ولـكنني أخذت اشعر بأن ابتسامتي بدأت تسري اليها ، وان هدوئي أخذ يشملها وهي تحدثني فتفاءلت بذلك وجعلته بادرة خير ، الشيء الذي شجعني

على أن اهدي لها مجموعة من الكتب الاسلامية التي تبحث عن الحجاب واسبابه وفوائده ، وعن السفور ومباعثـــه ، ومفاسده ، وكان منها كتاب الحجاب لأبى الأعلى المودودي والعفاف لمحمد امين زين الدين ، ونظرية العلاقة الجنسية لمحمد مهدي الاصفي ، ومعركة التقاليد لمحمد قطب ، وامس عند خروجها من المدرسة طلبت مني أن ازورها في بيتها لأن لديها ماتقوله لي ، ومـع أن هذا الأمر يبـدو غريباً لأن صاحب الحاجة هو الذي يجب ان يزور الطرف الآخر ولكني سائرة وراء غاية سامية ، وهدف معين ، ولذلك سوف أذهب اليها وانا راضية فرحانة .

٢٩ / ٣ / - ١٩٦

لقـد ذهبت أمس لزيارة لمياء ، فاستقبلتني بحرارة جعلتني لا اندم على قيامي بهذه الزيارة ، وبعد أن استقر بنا الجلوس بدأت تتحدث : تحدثت عما سمعتـه مني ،

وتحدثت عما قرأته في الكتب التي قدمتها لها ، ثم تساءلت أخيرا هل حقا ان في امكانها ان تتعلم لو أرادت ان تتحجب أم ان الحجاب سوف يكون حائلا دون ذلك ؟ فأوضحت لها ان الاسلام الذي فرض الحجاب على المرأة قد دعاها في الوقت نفسه الى طلب العلم ، بل إن نبي الاسلام جعله فريضة واجبة على كل مسلم ومسلمة ، وان لها أن تتعلم ولكن مع حفاظها على حجابها ومع تجنبها من الاختلاط مع الرجال بالشكل الذي يؤثر على محو الهالة القدسية التي تحيط بها .

٢٦ / ٣ / ـ ١٩٦

يالله كم أنا سعيدة اليوم ، فها أنا راجعة لتوى من المدرسة بعد أن شاهدت لمياء تلجها وهي محجبة ، وتخرج منها وهي محجبة ، الحمد لله الذي فتح صدرها للايمان ، اللهم لطفك بالبنات المسكينات ، اللهم هيء لهن سبل الهداية

وانهن مخدوعات ، ضللتهن افكار الحضارة الخادعة تحت شعارات العلم والتقدم .

فكأنما التعليم ليس بممكن

إلا اذا برزت بغير غطاء

١٢ / ٣ / ١٩٦ -

لقد قالت مدرسة التاريخ امس لو نزل القرآن في هذا العصر لما أوجب الحجاب على المرأة لان دور المرأة في هذا الزمان والنظره اليها لاتمكن من الاستغناء عن المرأة ولا تستسيغ عزلها عن الحياة ، كان هذا ماقالته مدرسة التاريخ الست بهاد . فما كان مني إلا ان أطلب منها السماح لي بالمناقشـــة . ثم قلت لهـــا انني اناقش ماقالتـه من زاويتين : اولا . ان وجود المرأة في مختلف الحضارات زمان نزول القرآن او قبله لم يكن أقل من وجودها الآن فقـــد كان سبق لها أن مارست شتى أنواع الظهور حتى

الحكم ، فالتاريخ يحـــدثنا عن ملكات امثال زنوبيـــة ، وكيلاو باطرة ، وكانت الحضارة اليونانية تركع وتسجد امام معاني الجمال الموجودة في المرأة ، ولا يزال ما نحتوه لها يعدّ من أثمن التحف الفنية ، وكذلك الحال في الحضارة الرومانية والفارسيـــة فهم جميعا وان كانوا قد وأدوا حق المرأة كانسانة وشككوا في أن هل لها روح ام لا ، وهم وان منعوها عن اداء الطقوس الدينية على حساب كونها مخلوق نجس ، ولكنهم كانوا يستغلون جمالها وأنوثتها بشكل واسع حتى أمروها وملكوها كما هو الحال في كيلاو باطرة ولـكن ، لما أساءت التصرف قدم لها أحد الرجال ثعبانا ساماً ورجح لها ان تموت مسمومة على أن تقع اسيرة بيد العدو فتجلب لهم العار ، وهذا يدل على تجاهلهم لإنسانيتها وكيانها المستقل وإلا فبأي حق يفرض عليها الانتحار ؟ وعلى كل حال فان هذه الصور من تاريخ المرأة في مختلف

الحضارات قبل الاسلام تدلنا على أن دور المرأة في تلك العصور لم يكن اقل أو أضيق من دورها في هذا العصر اذن فالتشريع الذي شملها حين ذاك يستمر في شموله حتى الآن . اما الزاوية الثانية التي أودأن أناقش فيها فهي ان الاسلام لم يعزل المـــرأة ولم يستغن عنها لأجـــل فرض الحجاب أبدا بل ان الاسلام هو أول من جعل من المرأة شريكة مع الرجل في بنيان الأمة كما جاء في الآية الكريمة « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » وكما قال نبي الاسلام « النساء شقائق الرجال » والاسلام لم يفرض الحجاب لغرض عزل المرأة عن الحياة ، لما تدل عليـه نفس آية الحجاب المباركة اذ يوجه الأمر فيها اولا الى الرجال لكي يغضوا من ابصارهم ؛ ولو كان الحجاب عزلا للمرأة عن الحياة لما وجـــد ما يبرر تشريع غض الرجال لأبصارهم

ثم ان التاريخ يحدثنا عن دور المرأة المسلمة في حياة الامة وكيف أنها كانت تشهد الغزوات مع الرسول تداوي الجرحى وتسقي العطشى ، حتى انها كانت تحمل السلاح في بعض الحالات بمرأى ومسمع من الرسول (ص) وكان رسول الله (ص) يسهم للنساء من الغنائم كما يسهم للرجال . ثم إن التاريخ يحدثنا أيضا عن سيـــدات مسلمات باشرن بمهمة الدعوة الى الدين ، وعقدن الندوات للتوعية الدينية ، وروين الاحاديث عن الرسول ، وفسرن آيات القرآن الكريم ، كل هذا يؤكد لنا ان الاسلام لم يعزل المرأة عن الحياة ، ولم يوجه افكار المسلمين الى احتقار المرأة ونبذها ، حتى ان افكار المسلمين في سنة مقتل الصالح كانت تتقبل ان تتولى الحكم امرأة عندما ارتقت شجرة الدر الى العرش ، ويؤكد لنا أيضاً ان فرض الحجاب على المرأة ليس سوى استجابة لما تفرضه طبيعتها وتدعو اليه طبيعة الرجل ، فالرجل

بطبعه وتكوينـــه تواق للمرأة ، والمرأة بطبعها وتكوينها خلقت لاستمالة الرجل ، اذن فظهور المرأة امام الرجال من حقه ان يثير في الجنسين الغرائز المكبوتة ، وهذه الغرائز اما أن تشبع حاجتها فتـكون الفوضى الجنسية التي تشمل البيت والاسرة والافراد وتحطم الرجل والمرأة سواء بسواء كما حدث في البلـدان الغربية وكما تدل عليه الاحصاءات الآتية ... آ ـ ان ٦ / ١ من الفتيات الامريكيات يتزوجن وهن حامـلات من علاقة سابقة ـ ب ـ تقل نسبة الزواج في أميركا بصورة واضحة وبعكس ذلك تزداد نسبة الطلاق حتى شملت مايقارب من ٢٥ ٠/. من مجموعة الزيجات ـ ج ـ هبوط نسبة الزواج في عرض عشرة سنوات الى النصف .

هذا اذا انطلقت هـذه الغرائز على سجيتها اما اذا كبتت فانها سوف تترك ورائها مختلف أنواع العقد وأمراض الكبت من الناحيـــة الفكرية والعاطفية . هذا هو السبب

الرئيسي في فرض الحجاب وليس كما يتوهم البعض من انه ختم ملكية المرأة للرجل أو عزل للمرأة عن المجتمع .

٢٥ / ٣ / — ١٩٦

لقد أصبحت اشعر ان مدرسة التاريخ الست نهاد اصبحت تنظر إلي باحترام بعد أن عرفت انني انسانة صاحبة عقيدة ، ومبدأ ، وان تمسكي بالاسلام وآدابه ليس مجرد عادات وتقاليد ، بل أنه نابع عن رغبة وتصميم وإيمان ، لك الحمد ياربي اذ وفقتني للتمكن من مناقشتها عندما نالت من التشريع الاسلامي ، لو كنت قد سكت في ذلك اليوم ، لو كنت قد جبنت عن مواجهتها بالحق لعدتني فتاة رجعية ، واقعة تحت تأثير العادات ، والتقاليد حتى ولو كنت قد ناقشتها ببذاءة ، لو كنت قد رددت عليها بكلمات نابية ، بأسلوب جارح ، انها ماكانت لتعترف لي بما تعترفه الآن ، لعدتني طالبة غير مهذبة ، ولأوعزت

ذلك الى خطأ الفكرة التي اؤمن بها والتوجيهات الاسلامية التي أسير عليها ، ولكنني ناقشتها بهدوء ، وبأدب ، وبأسلوب منطقي ، وها أنا ارى نتيجة ذلك ، لقد قالت امس للطالبات ليتكن تتمثلن بهدى ، فانها فتاة ممتازة . لك الحمد ياربي ، يامن قلت في محكم كتابك الكريم «ان الله لا يضيع عمل عامل منكم من ذكر اوانثى » .

٢ / ٤ / ‎-١٩٦

بالأمس كنت في مكتبة المدرسة اطالع كتاب « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » لأبي الحسن الندوى وانتبهت من استغراقي الطويلة في المطالعة على صوت الست نهاد وهي تقول ما الذي تطالعينه ياهدى ؟ فنهضت واقفة بأدب وقدمت لها الكتاب فجلست على أحد الكراسي تقلب صفحاته واحتراما لها ، ولأجل ان أتركها تقرأ بدون تحفظ ، غادرت المكتبة ولكنني لاحظتها حين انتهاء الدوام

وهي تحشر الكتاب بين كتبها فعرفت انها تريد ان تطالعه باتقان ، انها خطوة هامة ، انها فاتحة خير .

١٦ / ٤ / -١٩٦

منذ مدة وانا اشعر ان صديقتي المؤمنة صفية تعيش في صراع نفسي مرير ، وقـد أثر ذلك على نشاطها في العمل ، واندفاعها في الخدمة الدينية ، ومع انها لم تتخلف عن جلساتنا واجتماعاتنا ولكنني احس ان لديها مايعذبها وهذا مايحز في نفسي ويجعلني اتألم من اجلها ، ليتني اعرف السبب في الامها . أنا اجهل عن وضعها الداخلي اي شيء لاادري لعلها في ضائقة مالية ؟ لعلها تخشى ان يتكشف من حالها مالا تريد ؟ ولكنها غلطانة ، فنحن لانعير زخارف الحياة اهتمامنا ولا ننخدع ببهرجها وزبرجها ، يكفينا ويكفيها أيضا انها قـد اثبتت شخصيتها في وسطنا وبرزت بين لداتها بعقيدتها وسعة اطلاعها ، وعمق مفاهيمها الاسلامية

نحن نثمن الجوهر ولا يهمنا العرض ؛ فليست وسائل الحياة المادية سوى اشياء عرضية زائلة اما الجوهر الواقعي الذي لايمحى ولا يزول فهو الفكر الصالح والاتجاه الخير .. ولكن صفية ، يبدو انها غير مطمئنة الى باوغنا الى هذا المستوى من الواقعية في التفكير ، هذا اذا كانت الازمة التي تعانيها هي ازمة مادية ، سوف احاول ان اتعرف على أسباب المشكلة التي تعيشها لعلي اتمكن ان أمد اليها يد المساعدة.

٢٤ / ٤ / ١٩٦-

لقد اكتشفت السبب الواقعي للازمة التي تعيشها صفية ، انها حالتهم الاقتصادية ، وبيتهم المتواضع وخشيتها من يؤثر ذلك على مكانتها بين الصديقات ، ولهذا فهي تعيش في دوامة من الآلام والانفعالات ، ولكنني تمكنت من جرها الى عالم الحقيقة التي نعيشها قلت لها: ان محمد ابن عبد الله اعظم رجل عرفه التاريخ ، حمل الى البشرية

أقدس رسالة سماوية وهو فقير ، في الوقت الذي كان يتمكن فيه ، لو أراد ، ان يعيش حياة الترف التي كان يعيشها كسرى وهرقل، وان فاطمة الزهراء بنت الرسول كان بيتها متواضعا يشمخ في تواضعه على ايوان كسرى وكان اثاثها بسيطا يتعالى في بساطته فوق رياش فارس ، وزخارف الروم ، وكذلك الحال لدى صحابة الرسول الابرار ، فالتاريخ يحدثنا عن حريق هائل شب في المدائن خلال ولاية الصحابي الشهير سلمان الفارسي لها ، فكان ان هرع الناس الى رياشهم وأموالهم يستنقذونها بجهد جهيد اما سلمان والى المدائن وحاكمها ووارث عرش كسرى في الامارة ، فقد حمل على ظهره كل مايعود اليه ولم يكن ذلك يتعدى صرة صغيرة من الملابس ، وقرآن ومصلاة، وابريق ماء ، وخرج من منطقة الحريق قائلا : هكذا ينجو المخفون .

٢٦ / ٤ / ١٩٦-

بالأمس التقيت بصديقة حميمة لي كانت تجمعني واياها صلة وثيقةولهذا فقد كنت قدعرفتها عن قرب ،وعن قرب جدا فرأيتها مثال الفتاة الطيبة الطاهرة لم تكن تظن بأحد السوء، ولم تكن تضمر سوء تجاه أحد ، وأكاد اتمكن ان أقول : انها لم تكن تعرف الحقد والبغضاء بمعناها الصحيح ، كانت تثق بكل رفيقاتها ثقتها بنفسها تماما ، وفية مخلصة ، تبذل يد المعونة لكل محتاجة من اخواتها المسلمات ، كانت تعطى من نفسها أكثر مما تأخذ بكثير ، فهي تحسن حبا بالاحسان واشباعا لرغبتها في مساعدة الغير وثقة منها انها بهذا ستكون الرابحة في الدارين ، وعلى كل حال فقد كانت فتاة مثالية ، ثم حدث ان ابتعدت عنها فترة لم اتمكن أبانها من مطالعتها ومراجعتها ، ثم لقيتها أمس فهزتني فرحة اللقاء ، ولكن صدمني الاطار القاتم الذي

شمل الموقف ، فقد طالعني منهـا منظارها الاسود الذي أصبحت لاترى الدنيا إلا من ورائه ، ثم عرفت انها قد اكتشفت في مجتمعها نواح كانت تجهلها منـه ، واطلعت على مفاهيم معكوسة لم تكن تخطر لهـا على بال ، فرأت كيف تقلب المثل فتقابل بالنقيض ، فهي لم تشعر في يوم من الايام ان هناك فيمن حولها من يفرق بين المحسن والمسيء في كل ظرف وحين .. وهكذا ، ولهذه النواحي واشباهها أخذت تتبرم بالحياة ، وتسعى الى العزلة والانفراد ، وقد تبدل لهذا سلوكها وتغيرت طباعها وفقدت راحتها النفسية على هذا الوضع رأيت بالامس صديقتي بعد طول افتراق فعرفت ان هذه المسكينة ليست سوى ضحية من ضحايا المجتمع ، فما كان مني الا ان سألتها قائلـة وهل ندمت ياعزيزتي على ماقدمت يداك من احسان وما وهبه قلبك من حب ؟ وهنا شعرت ان صراعا عنيفا قام بين عقلها

وعاطفتها وكنت آمل ان يتغلب العقل فترد علي — لا — ولكنها لم تتمكن من مقاومة أي من الدافعين فسكتت ولم ترد ، فأجبت انا بدلا عنهــا فقلت لهــا برفق : قولي لا ياعزيزتي فان عمل الخير في نفسه شيء جميل ، وصفاء النفس بذاته شعور مريح ، فلا تأسفي على شيء منهــا ويكفيك سعادة انك تطالعين صفحات ماضيــك فترينها بيضاء ناصعة من كل شوب ، فقولي اني لست نادمة يحفظ الله لك أجر مافعلت . لاتندمي يا صاحبتي ولا تيأسي فما زالت الدنيا في خير ولا يزال هناك من يحفظ الجميل ، ويقدر الفضل ، ولهـذا فاني ارجوك بل والح عليـك ان لاتدفعك الخيبة من المجتمع الى الحقد عليه ، ولا يجرنك الفشل في عمل الخير الى الزهد فيه بل استمري على السير في طريقك الواضح ، وحاولي ان ترفعي عن عينيك هذه الغشاوة القاتمة لتعودي كعهدي بك فتـاة طيبـة ، حلقي

في سماء الكمال ، ولا تهبطي الى حضيض النقص ، فان اهم ماينقص من المرأة ويحط من مكانتها هو الحقد ، والظن السوء ، فلا تحقدي او تظني بأحد السوء ، احملي اختك على سبعين محمل خير وسوف ترين راحتك النفسية وقد عادت اليك كأروع ماتكون .

وهكذا بدأت احدثها بما يعود بها الى واقعها الذي تنكرت له ، ولم افارقها الا وانا على ثقـة من انها سوف تكون في مستقبلها كماضيها .

١ / ٥ / ‎-١٩٦

سألتني اليوم واحدة من الاخوات المؤمنات من معنى ماجاء في دعاء كميل ابن زياد (رض) « يارب ، اسألك بحقك وقدسك واعظم صفاتك واسمائك ان تجعل اوقاتي في الليل والنهار بذكرك معمورة وبخدمتك موصولة » قالت

ليس فينا من تتمكن ان تقتصر في حياتها على ذكر الله والتسبيح والتهليل فنحن اذ نعيش وبحكم لزوم التعاون مع الآخرين مهما أمكن ، لابد لنا أن نباشر شتى اعمال الحياة ولا يمكننا التنصل والتزام التكبير والتهليل فقط ، فقالت لها على مهلك يا أخيه فنحن لسنا بمكلفين ان نقضي الليل والنهار بالتسبيح والتكبير مثل قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر فهذا وان كان من الذكر المأثور ومن الباقيات الصالحات لكن ليس هو الذكر كله ، فكم يوجد من يذكر الله بلسانه وينساه في قلبه وافعاله ، ولكننا نستطيع بسهولة ان نجعل اوقاتنا في الليل والنهار بذكر الله معمورة وبخدمته موصولة دون أن نعطل شيئاً من أعمالنا للحياة ، فبالاضافة الى العبادات اليومية المفروضة ، ومقدماتها وآدابها ، فأنت مثلا اذا كنت زوجة صالحة وربة بيت خيرة تكونين بذلك دائما وأبدا ذاكرة لله مطيعة لأوامره

فقد جاء في الاخبار ان امرأة سألت الرسول (ص) عما عندنا نحن النساء من قبال الجهاد وثوابه عند الرجال فقال صلوات الله عليه : الزوجية الصالحة وادارة البيت الناصحة الطاهرة ، ثم ان المرأة وكيفما تكون سيدة أوآنسة تتمكن ان تصبح دائما وأبدا ذاكرة لله تعالى ، خادمة لأوامره، متبعة لتعاليمه ، فكل يد معونة تسديها المرأة ولو لأقربائها الاقربين اذا كانت خالصة لله تكون ذكراً لله تعالى ، وكل لفتة طيبة تبديها تجاه الغير بدون أية غاية دنيوية تكون ذكراً لله سبحانه ، وكل سحابة ضيق تتحملها بصبر ، وكل فكرة صالحة تفكر فيها لأجل الخير ، دون أي شيء آخر ، وأي نعمة تحدثت بها لامباهية ولا متعالية ، وحتى البسمة والضحكة إذا جادت بها خالصة من كل شائبة رياء او ملق ، كل هذه تكون ذكرا لله سبحانه ، ولكم يتفق لنا ان تحين لنا فرصة نتمكن فيها من افشاء سر

او الجهر بسوء يكون لنا من ورائه نفع اولنا به مصلحة شخصية ثم لا نأتي بشيء من ذلك بوازع ديني لاغير فنكون ذاكرين لله تعالى مطيعين لأوامره ، ولذلك فمن الجدير بنا أن نبتهل الى الله تبارك وتعالى ان يجعل اوقاتنا في الليل والنهار بذكره معمورة وبخدمته موصولة .

٥ / ٥ / -١٩٦

ان الامتحان النهائي يقترب ولابد لي ان اتفرغ للتحضير لأتمكن من اجتياز هذه المرحلة بتفوق ولكي اثبت ان العمل الاسلامي لم يقعد بي عن الدراسة ولم يشل تفكيري عن المطالعة بل فتح ذهني اكثر وركز تفكيري بصورة اعمق . ولهذا سوف أترك كتابة المذكرات الى حين بداية العطلة ان شاء الله .

قلب يتعذب

أتراني سوف أقوى على الثبات ؟ .. اتراني سوف اتمكن من التمسك بهذه الخيوط التي تشدني الى الأمل؟.. اتراني أستطيع ان ابقي قدمي راسختين مع كل مايدميهما من شوك؟.. اتراني اتمكن أن اشد بصري نحو مطالع النور مع كثير مايحول بيني وبينه من ضباب ؟ يالله ، أي ضباب هو هذا الذي يتكاثف ويتكاثف لكي يحجب عني بريق الضياء ؟ .. نعم ، أي ضباب هـــذا الـذي يأبى إلا أن يلاحقني فيسد علي منافذ الحياة بعدما احاول أن أفتحها واسعة رحيبة لكي الى انفذ منها ما اريد ؟ . . ولكني طالما نفذت من خلاله وأنا أعرف انه ضباب !.. ولكنه

الآن عاد اكثر ظلمة وأعمق كثافة .. انه تمكن ان يستغفلني فيرسل بعض خيوطه الى فكري لتعشعش فيه .. ولهذا فأنا أتساءل كما لم أتساءل من قبل .. أتراني سوف أقوى على الثبات ؟.. أية قوة هذه التي ستشد من عزيمتي التي أكاد أفتقدها . . وأي حارس هذا الذي سوف يحرس فكري عن انفتاحه على خيوط الضباب الكثيف التي سربتها اليه قساوة الحياة . . نعم قساوة الحياة . . فما أقسى أن يتابع الانسان الذبالة الأخيرة من مصباح أمانيه وهي تنطفىء عطشاً للزيت وهو يعلم أن لازيت هناك ، ولكن عليه أن يتابع ذبذبتها بعطف وحنان ؟! .. ما أقسى الشعور بالنهاية والاقسى منه اذا كانت النهاية بطيئة ؟.. ما اقسى أن يكافح الانسان أمواج الحياة وهو يعلم أن لاساحل هناك ! . . إنه الكفاح اليائس العقيم .. ما أقسى أن تكون خيوط الغد غير واضحة ، والأقسى من ذلك أن توجد الخطوط ولكنها

متشابكة الأطراف غـير واضحة الأبعاد لما يكتنفها من ضباب ؟! ... يالله الضباب مرة ثانية !.. انه لا يريد أن ينفك عني ويأبى أن يتركني بأي شكل من الاشكال .. لعن الله هذا الضباب الظالم المظلم . . انه يشيع في القلق ليل نهار ، والقلق ماهو إلا أداة لهدم الارادة مهما كانت قوية ... ولكن أية ارادة هـذه التي سوف يبقي عليها الضباب ؟ .. أتراني سوف أعود فأزهو بارادتي من جديد ؟..

٢٥ / ٨ / ١٩٧٠

فكر في مهب الريح

ها أناذى أعود اليك يا مذكراتي لأبثك ما أجد بعد أن لم أعد أقوى على الكتمان ... إن آنية الماء التي توضع على النار لابد لها من تنفس وإلا لانفجرت تحت وطأة الغليان .. وهكذا هي آلامي ياوريقاتي : فهي تكاد تنفجر في أعماقي كمركان من نار يحيــل أعصابي الى هشيم . . . لكنك أنت الوحيدة التي أتمكن أن ابثها ما أجد لأخفف الضغط عن هذا الكيان الذي أخذ يتداعى تحت ضربات الاحداث . . صحيح انني لا استطيع أن أقول ولكني أستطيع أن أكتب .. فقد يوجد مايكتب ولا يقال ، وقد يوجد ما يقال ولا يكتب .. نعم أنا أريد أن احدثك عن

ليلي وآلامه ونجومه التي تتضاحك علي لسهري ، وترنو إلي
بفضول لتتعرف على الشيء الــذي باعـد بين أجفاني ،
وولد النفرة بين عيني والنوم وبين جسمي والفراش . .
أنا اريد ان احدثك عن نور القمر الذي أضحى يعذبني
باشراقتـه التي طالما تغنيت بها من قبل ، وطالما أشرقت
لها جنبات روحي تتجاوب معهـا في حنان . . اريد أن
أحدثك عن الأطياف التي تتراءى لي وكأنها نذر الشقاء
تتلاعب بأفـكاري وعواطفي كما يتـلاعب الذئب بفريسته
وهو يحاول تمزيقها بأنيابه .. نعم ياوريقاتي ، انها أطياف
كانت تتراءى لي منذ زمان رفيقة بي تارة وعنيفة أخرى ..
ولكنها منذهذا الأمدالذي لاأقوى على تشخيصه لما يتلفعه
من ضباب انها منذ هذا الأمد لم تعد تفارقني ولم تعد ترفق
بي أبداً فهي عنيفة ومفرطة في العنف .. الشيء الذي جعلني
أنقاد اليها ملقية سلاح المقاومة الذي طالما استنقذني منها فيما

مضى .. فالى أين ستقودني هذه الأطياف ياترى ؟ . .
وهل هناك من يستنقذني منها أويساعدني في التغلب عليها
الحقيقة انني يائسة ، فالى أين سيقودني هذا اليأس ؟ . .
ليتني أجد من يقودني الى مطلع النور من جديد .. حتى
هـــذه الـكتب التي كانت سلامي الذي أصد به هجمات
الضباب فيما مضى لم تعد تؤدي مهمتها بالشكل المطلوب
ولم تعد حروفها تعني عندي اكثر من خطوط سوداء قاتمة
لقد حاولت بالامس أن استعير بعض الكتب من المكتبة
العامة ولكني عدت فسلمتها بعد استلامها بثلاث ساعات
لانني عجزت عن القراءة .. انا التي طالما سحرتني الكتب
بأفكارها .. فالى اين سوف ينتهي بي الحال ؟ ..

١٩٧٠ / ٨ / ٣٠

حشرجة روح

هل ترى حرم علي النوم الهانيء ؟ أوهل سوف تعود الى مقلتي تلك الاغفاءة اللذيذة فأتذوق من جـديد طعماً للاستغراقة الحالمة التي كانت تلفني كلما عسعس الليل ، أم تراني سأبقى أستجدي السنة فلا تجيبني ، واستدعي الرقاد فلا يواتيني ؟ .. وحتى اذا تسلل النوم الى عينى على غفلة من الضباب وعلى غرة من الاطيـاف ، فهو رقاد فزع متقطع لايكاد يغلبني حتى يغلبه الضباب وأطيافه القاسيـة الهوجاء فيوقظنى لاواجه من جديد واقع الحياة .. ما أحلى النوم الذي يبعدني عن الواقع المرير ، وما أمر النوم الذي تلاحقني خلاله ظلال اليقظة القائمة .. أتراني أتمـكن ان

اعده نوماً أم هو أحد اشكال العذاب وبعض أنواعه ؟!.
ولهذا فأنا لا أتمكن أن أقول انني لا أنام ، فأنا أنام ،
ولكن أي نوم ؟ .. وأنا لا أريد أن اقول انني لا أضحك
فأنا أضحك ولكنها ضحكة جريحة وكأنها حشرجة روح
وأنا لا أريد ان أقول انى لم أعد أحيا كما تحيا الاخريات
أنا أحيا ، ولكن أية حياة ؟.. انها أشبه ماتكون بالحجر
الكاوي الذي تغطيه طبقـــة من الرماد الهادىء فلا يوحي
للناظر بما يخفى من اوار . . هكـــذا كنت ، ولا ازال
أضحك ليضحك سواي واتظاهر بالسعادة ليسعد من يهمه
أمري فيفرح لذلك صديقي ويأسى له عدوي . . ولكن
أتراني سوف اتمكن المقاومة ، أم ان معالم الضباب ، هذا
الضباب القاتم الـــذي يحاكي لونـــه لون عباءتي السوداء
أتراه سوف يرسم خطوطه على قسماتي فيبدي ما احاول
اخفاءه ويفضح ما أود ستره .. ليتني أتمـكن الثبات ،

فأنا لا أطيق نظرات الرحمة وهي منصبة علي ، ولا أريد ضحكات الشماتة وهي تتردد في مسمعي تحمل صـــداها المشؤوم . . ليت هناك من يحاول أن يستنقذني ممـــا أنا فيـــه !

١٨ / ٩ / ١٩٧٠

بقايا كيان

ما أراني إلا وقـــد انتهيت .. فقد اتسعت سطوة القلق حتى شملت جميع اتجاهاتي في الحياة .. فما أن أمسك القلم حتى يحيله القلق الى اداة عاطلة لاتعرف كيف تخط الكلمات ، وما اكـــثر ما حاولت أخط به ـ على جموده وفتوره ـ ولكنها أية خطوط ؟..

انها كلمات جوفاء تفتقـد الحياة والرواء لأن هـذا الضباب اللعين يأبـى إلا أن يمتد اليها فيتسرب بين حروفها ليحيلها الى احرف باهتة لاتعني شيئاً ولا تمكن من شيء وهل يقوى الانسان أن يعيش دون ان يكتب ودون ان يقول ؟ .. أية حياة هي هذه ؟ انها الحياة التى تحكى عن

الميت الحي .. لا أدري ، هل سأعود فأعرف انني احيا من جديد ، اوهل سأجد اليد الرحيمة التي تمسح على جروحي والصدر الحاني الذي اسند رأسي اليه ، لا بالله ماأجد ؟؟ ..

فلا بد من شكوى الى ذي مروءة

يواسيك أو يسليك أو يتوجع

٦ / ١٠ / ١٩٧٠

بيداء

الى هنا انتهت رباب من مطالعـــة دفتر المذكرات الذي هو ضيفها منذ ساعة بعد ان ألقته المقادير بين يديها وهو ملقي على جانب الطـريق . . فشعرت بشعور الألم لهذا القلب المعذب ولهذا الكيان الذي يوحي بالانهيار .. ثم استسلمت الى استغراقة طويلة استعادت خلالها ما جاء في المذكرات مثل قول الكاتبـة « ليت هناك من يحاول أن يستنقذني مما أنا فيـــه » وقولها « اتراني سوف أعود فأزهو بارادتي من جديد » .. اذن فان بيداء هذه الكاتبة المجهولة قوية بطبيعتها ، ثابتة بشخصيتها ، وانها لم تتهاو إلا تحت وقع سياط قاسية وقاسية جداً .. وهي مع ذلك تتمنى لو تمكنت من الوقوف وتتوق الى عهـدها السابق من الثبات .. ورددت رباب في ألم : ليتني كنت أعرفك يابيداء لكي أصل اليك ياطعينة الحياة ، ياحبذا لو كنت أقوى على انتشالك ياضحية الضعف البشري الذي لايتخلص

منه الانسان الا بسلاح الايمان .. نعم ليتنى كنت أعرفك يابيداء ... وما كادت رباب تكمـل جملتها حتى أحست انها مخطئة ، فلا ينبغي لها أن تتنصل من المسؤولية بقول (ليتنى) ، فان الليت لامجال لها في قاموس العاملـين ، فالارادة عند المخلصين تعمل المستحيل ، والتصميم الصادق لدى النفوس الصالحة يحيل ماهو عسير الى سهل يسير ، ولهذا فقد عادت رباب لتقول في تصميم : سوف أجدك يابيداء وسوف استنقذك مما أنت فيه إن شاء الله .

* * *

نشطت رباب في استقصاء آثار بيداء بعد أن أعادت قراءة المذكرات ، واستخلصت منها نقاطاً جعلتها دليلها الذي يقودها الى ضالتها المنشودة ، وكان من تلك النقاط ان الكاتبة المجهولة محجبة أو نصف محجبة ، لانها مثلت سواد الضباب بسواد عباءتها ، ومنها انها استعارت كتاباً

من المكتبة العامة وأعادته في نفس اليوم .. ولهذا فقـد انتظرت اليوم الذي خصصته المكتبة العامة لزيارة النساء وذهبت الى هناك واختارت أحد الكتب لاستعارته ، وقدمت لها العجوز المسؤولة عن الاستعارة دفتر التواقيع لتذكر اسمها وعنوانها امام موعد الاستلام ، فأجالت عيناها في الصفحة التي أمامها عسى أن تجد اسم بيـداء فلم تلاحظ وجود أي اسم لأمرأة في تلك الصفحة ، ولم تشأ أن تقلب صفحات الدفتر لكي لاتثير فضول الموظفة فأخذت الكتاب وانصرفت . وبعد ثلاث ساعات عادت لتسلمه كما صنعت بيداء بالضبط وهي على أمل أن تجد اسم بيداء في دفتر التسليم .. وتقدمت الى المسؤولة تمديدها بالكتاب وبثمن الاستعارة الخارجية ليوم واحد .. فظهر الاستغراب على وجه الموظفة وقدمت لها دفتر التسليم وهي تقول : عجيب امركن يابنات اليوم ، فما هو جـدوى الاستعارة لبضع

ساعات ؟ فكان لنون الجمع الذي نطقت به المسؤولة اثره لدى رباب ، فتساءلت بلهفة : وهل هناك غيري من أرجعت الكتاب بعد بضع ساعات ؟ فأجابت الموظفة بعدم اكتراث : نعم انهن كثيرات من بنات هذا الجيل .. فرأت رباب ان احسن طريقة لمعرفة عنوان بيداء هو اثارة هذه العجوز ، فأجابت بلهجة متحدية : لا اظن ذلك ، فانك تظلمين بنات جيلنا ياسيدتي . . فضحكت الموظفة وقالت بتهكم : لاتظنين ذلك ؟ أنا لااتكلم اعتباطاً ، انها التواريخ تدل على ذلك . . قالت هذا واشارت الى الدفتر الخاص الذي أمامها . وصممت رباب أن تسير في خطتها حتى النهاية فهزت رأسها في تشكيك وقالت : اظنك مبالغة في حكمك ، فما ارجعت الكتاب إلا لعارض طارىء ، ولا تتفق العوارض الطارئة لكل واحدة ، فأثار هذا التشكيك الموظفة فقلبت الدفتر بعصبية

ثم اشارت تقول : اظنك تعرفين القراءة فانظري ! . .
فنظرت رباب في لهفة فطالعها اسم نهلة عبدالكريم ، فرفعت نظرتها الخائبة وهي تقول : هذه واحدة وهي لاتكفي للحكم
فعادت المسؤولة الى تقليب الصفحات ثم اشارت من جديد قائلة : وهذه أيضا لم يدم عندها الكتاب اكثر من ساعات
ولم تستمع رباب الى جملتها الاخيرة لأنها كانت قد وجدت امامها اسم بيداء محمد صالح .. شارع .. رقمالدار .. ت ..
ورفعت رباب عينها وهي تخشى أن تنسى الاسماء والارقام ولهذا لم تزد على أن تقول : نعم انك على حق . . ثم غادرت المكتبة حيث وقفت وسجلت الاسم ورقم الدار ..
ونظرت الى ساعتها فوجدتها تشير الى الثانية عشرة والنصف فتوجهت الى بيتها تنتظر العصر الذي سوف يجمعها مع بيداء .

* * *

سارت رباب في شارع ... وهي تقرأ أرقام البيوت وقد حملت معها دفتر المذكرات الذي قادها الى هناك .. وأخيراً وجـــدت البيت المقصود فوقفت امامـــه مترددة واستحضرت الخطوات التي سوف تتبعها للدخول في حياة بيداء ، والأخذ بيـدها الى عالم الايمان لتهبها السعادة في الحياة .. ثم وضعت يدها على الجرس وهالها أنها وجدت يدها لاتخلو من رعشة تنبيء عن قليل من الارتباك وخاطبت نفسها قائلة : مادمت أعمـل بدافع من الخـير ، وما دام الدين رائدي في هذا فليس لي أن أتردد .. وقرع الجرس وسرعان مافتحت لها الباب طفلة صغيرة ذات جدائل ذهبية وعيون خضراء ملونة . . وتطلعت اليها الطفلة في حيرة فابتسمت لها رباب وسألتها : هل ان بيداء موجودة في البيت ؟ فردت الطفلة في لهفة : بيداء ؟ نعم ، انها هنا ولكن .. وسكتت وكأنها في حيرة كيف تكمل جملتها .

فأردفت رباب : ولكن ماذا ياحلوة ؟ قالت : ولكنها لاتستقبل أحــداً ، قالت رباب : لعلها مريضة ؟ قالت الطفلة : لا أدري . . وشعرت رباب ان الطفلة تدري ولكنها لاتريد أن تقول فقالت لها برفق : اذهبي ياعزيزتي وقولي لها ان في الباب واحدة تحمل اليك شيئاً ثميناً أضعتيه اسرعي ياشاطرة فانها سوف تشكرك على ذلك .. وكأن الطفلة قد ارتاحت الى نغمة رباب الهادئة اللينة فقالت لها : تفضلي وادخلي حتى أذهب واخبرها بما تقولين .. فدخلت رباب واغلقت الباب خلفهـا فوجدت نفسها في حديقـة مهملة لم تمسها يد التشذيب منذ زمن بعيد، فرفعت نظرها نحو البيت فوجدته بيتاً يجمع بين الفخامة والقدم اصباغه باهتة ، ونوافذه متداعية ، وجدرانه متآكلة ، فظنت انها توصلت الى بعض خيوط المأساة . . كانت تنتظر عودة الطفلة لتقودها الى بيداء ولكنها فوجئت برؤية بيداء وهي

تتقدم نحوها وقد شاعت على وجهها ابتسامة حزينة مصحوبة بشيء من اللهفة ، وهل هناك طابع أقوى من طابع الحزن عندما يلون تعابير الانسان بألوانه فيحيل اشراقة العين الى ذبذبة نور باهت ، ويصبغ لون الوجه بدهانه الأصفر الشاحب وهكذا كانت بيداء ... ومرت لحظة سكوت طالعت كل منهما صاحبتها وكأنها تحاول أن تحدد موقفها منها ، أوتحاول ان تتعرف على مايتطلبه منها الموقف ، وكانت بيداء البادئة في الكلام فقالت بلهجة مهذبة : أهلا وسهلا .. فابتسمت رباب ومدت يدها نحو بيداء مصافحةوهي تقول : السلام عليكم .. وحاولت أن تبقى يدها في يد بيداء لمدة أطول وكأنها تريد بذلك ان تركز على معنى تحيتها فتقول : لك مني يا اختاه الامان والاطمئنان والسلام ، وما أنا الا رسولة الرحمة الالهية اليك لأصبغ على قلبك السلام وعلى فكرك الأمان .. وما كان من بيداء الا أن دعتها الى الدخول

وقادتها الى غرفة الاستقبال وكانت غرفة تفصح عن فخامة متداعية وثراء مندثر ، وجلست رباب حيث انتهى بها المجلس وجلست بيداء بالقرب منها وهي تحاول أن تبدو طبيعية ، ولكن عينيها كانت تبحث عن شيء تحمله لها رباب .. واشفقت رباب من ان تطيل انتظارها فأخرجت الدفتر من حقيبتها وقدمته نحوها قائلة : لقد وجدته ملقى على رصيف شارع .. قبل ثلاثة أيام .. فمدت بيداء يدها لاستلامه وقدترقرقت الدموع في عينيها وأخذته وهي تقول : الحمدلله لقدوجدته خيراً.. يالدفتري العزيز ..وضمته الى صدرها في حنان وكأنها عادت فانتبهت الى واجبها نحو من حملت اليها ضالتها الثمينة ، فمدت يدها نحو رباب وهي تقول بنغمة صادقة : اعطني يدك لاصافحك من جديد فأنا لا ادري بأي شكل يمكنني شكرك يا اختاه .. فمدت رباب يدها وقالت : لم اقم الا بما يمليه علي واجبي يابيداء ولا

داعي للشكر والثناء .. قالت بيداء : ولكن كيف تمكنت الاهتداء إلي ؟ أرجو أن لا تكون المصاعب قد صادفتك لذلك .. قالت رباب : أبداً فالارادة تذلل كل ماهو صعب ، وتقرب كل ماهو بعيد ، وقد كنت اريد ان اجدك يابيداء وقد وجدتك أخيراً والحمد لله . . فرددت بيداء كلمة (الارادة) بألم وكأنها تنعى عزيزاً افتقدته .. الارادة . . نعم ماأحلاها حينما توجد لدى الانسان ، قالت رباب : نعم انها المنار الذي يرشد الى مرفأ النجاة ، وهي الملاذ الذي يحمي الانسان من الانهيار .. قالت بيداء : صحيح ماتقولين ، ولكنها قد تضعف أحياناً أو تتلاشى في بعض الحالات .. قالت رباب : هناك نوعان من الارادة ارادة خيرة ترتكز على اسس صالحة ، وارادة طائشة تعتمد على رغبات وقتية أما الارادة الطائشة فهي تتلاشي مع الرغبة وتضعف امام أول مقاومة ، ولكن الارادة الخيرة هي التي تمتلك عناصر

الثبات التي تخولها الصمود امام كل شيء، فهي حينما تعتمد على اسس ثابتة يقترن وجودها بوجود تلك الاسس . .
وسكتت رباب تنتظر رد الفعل الذي احدثته كلماتها لدى بيداء ، واطرقت بيداء برهة ثم رفعت رأسها في تصميم وقالت : ما اراك الا وقد قرأت ماكتبته في مذكراتي ، فهل لي أن اعرف عنك بعض ماعرفت عني ؟ فابتسمت رباب برفق وقالت : ان لك كل الحق في هذا ياعزيزتي وما أتيت الا لأعرفك بنفسي ومن ثم أضع بين يديك بجميع امكانياتها . . أنا رباب فاضل الـ . . أسكن في شارع . . وما قرأت مذكراتك الا لأجل التعرف على كاتبتها ومحاولة اعادتها اليها . . وفعلا فقد قادتني اليك كما ترين ، ولهذا أرجو أن تغفري لي ذلك يا أختاه . .
قالت بيداء : أنا لا أغفر لك فقط بل انني اشكرك على هذه البادرة ، فما أقسى الأيام التي عشتها بعيداً عن هذا

الدفتر العزيز ، افتقدته وكأني افتقدت بعضاً من وجودي.

قالت رباب : أنا لا اقرك على هذا التعبير ، فمتى كان وجود الانسان مرتبطاً بخواطر طارئة تحملها صفحات؟ قالت بيداء : ولـكنها صفحات تعبر عن واقع وجودي في الحياة ، وتعطي صورة عن الأجواء التي أعيشها ، قالت رباب : ولكنها صورة ليست متكاماة الجوانب ، فالحياة مسرح لمختلف عوامل الانطباعات ، وهي كالروضـة التي تحتضن تربتها شتى انواع الزهور او مختلف اشكال النبات زهرة عاطرة وشجرة ناظرة ، وعشب متطفل ونبات مجهول وأشواك مدمية . . هذه الروضة هي صورة مصغرة للحياة بتباين ما حوت وارتباط وجود محتوياتها مع بعض ، فان من طبيعة الأرض التي تحتضن الزهرة ان تفسح مجالا للعشب ومن متطلبات الصعيد الذي يتقبل البذرة ليحيلها الى شجرة ان يخضع لعوامل تطفل الاشواك عليه . . . وكانت بيداء

تستمع الى رباب بهدوء ثم قالت : ولكنها قد تبقى تحتضن الشوك وحده فتدمي بدون اريج وتنبت العشب المتطفـــل فقط فتعيق السير بدون ثمر . . قالت رباب : ان هذا غير ممكن يا اختاه ، فان من طبيعة الحياة تعاقب الآلام والآمال ، فلا ألم بدون أمل ولا أمل بدون ألم .. قالت بيداء : ولـكن قد يفترق أحدهما عن الاخر كما حـدث بالنسبة لي ، قالت رباب : انهما لم يفترقا ولـــكن فترة التعاقب هذه لعلها قد استمرت بشكل اطول .. قالت بيداء ولعل زمن هذه الفترة سوف يمتد مــع الحياة فيبعث في النفس معاني اليأس القاتلة ، وهـل هناك أقسى واقوى من اليأس ؟ .. قالت رباب : ان في مقدرة الانسان ان يتغلب على قساوة اليأس بحلاوة الأمل ، فتأوهت بيداء بمرارة ثم قالت : وكيف ، وبأي سلاح ؟ قالت رباب : بسلاح الايمان يا بيـــداء ، ففي الايمان ورجاء الله واليوم الآخر

يتسامى الانسان فوق هذه الحياة الفانية فتمر همومها حوله ولا تصدمه بعد ان استهان بجميع آلامها واهوالها ومتاعبها ومصاعبها .. إذا تمكن الانسان ان يسود نفسه عن طريق رجاءالله وحده والايمان برحمته كان سيدنفسه ، ومن كان سيدنفسه كان سيد من حوله يصرفه بحكمة كيف يشاء. .قالت بيداء: ولكن قد يخيب الانسان بالتحكم في نفسه ، قالت رباب : انا لا اؤمن بالخيبة فليست الخيبة هي الشر كله بل ان الشر كله في العقل اذا توجه الى حالة واحدة من الأمل الخائب مع وجود طرق اخرى ، والشر في الارادة اذا ضعفت وظلت متمسكة بشيء غير موجود أو بشيء كان موجوداً فانعدم .. اما اذا كانت النفس على مستوى من الايمان الذي يجعلها تتحصن ضد الانهيار ولا تعيش متطلعة الى سراب وهي واثقة من انه ما اغلقت باب الا وفتحت اخرى ، وما انقطع خيط الا وهناك خيط موصول ،

فلتفتش عن الباب المفتوحة والخيط الموصول تاركة وراءها اليأس
الذي سببه انقطاع ذلك الخيط ، حين ذاك لايخيب الانسان
بل تخيب الخيبة نفسها . . . وكانت بيـداء تستمع الى
الحديث بانجذاب وقد ترقرقت دمعة حارة في عينها . .
وسكتت رباب تنتظر الرد من بيداء ولكن فترة سكوت
بيداء طالت بعض الشيء وكأنها تراجع وقع كلمات رباب
في مشاعرها . ثم قالت : لا أدري فلعل يد الرحمة قد
ارسلتك الي يارباب لتستنقذني من اليأس .. قالت رباب
ألم تسمعي الآية المباركة التي تقول « ولا تيئسوا من روح
الله انه لاييئس من روح الله الا القوم الكافرون » ؟ وعند
ذلك نظرت رباب الى ساعتها فرأتها تشير الى السادسـة
مساء ، وكان عليهـا ان تذهب الى البيت فتململت في
جلستها مؤذنة بالقيام ، فاهتزت بيـداء لذلك وقالت في
لهفة : وهل ستذهبين يارباب ؟ .. فابتسمت رباب وقالت

بلطف : نعم فان لدي مايدعوني الى العودة الى البيت ..
فتساءلت بيداء : هل هو موعد هام يارباب ؟ قالت رباب :
نعم انه اهم موعد في حياة الانسان ، انه الزمن المحدد
لصلة العبد بالمعبود والفترة المخصصة لاتجاه المخلوق الى الخالق
قالت بيداء : انها الصلاة ولا ريب ، ولكن يمكنك اداءها
هنا ، نعم يمكن ان نؤديها معاً ، فأشاعت هذه الكلمات
الغبطة لدى رباب ورددت في نفسها تقول الحمد لله انها
مصلية فهي اذن صالحة بفطرتها وطيبة بطبيعتها ، ثم اجابت
على الفور : لامانع لدي من ذلك .. وفعلا فقد ادتا فريضة
الصلاة معا وعادتا الى مجلسهما ، فافتتحت رباب الحديث
قائلة : ألم تسمعي الآية التي تقول « ولنبلونكم بشيء من
الخوف والجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات
وبشر الصالحين » اذن فان جميع مانلاقيه على مسرح الحياة
ماهو الا اعداد للنفس البشرية لرفعها الى مستوى الارادة

وسيادة النفس ، فقد نعد النازلة تنزل بنا خسارة وهي ربح ، أو نقول مصيبة نزلت لتكدير الحياة وما هي الا طريق لبلورة الفكر وصقل المشاعر بشكل يساعدعلى مجابهة الحياة بطريقة صالحة ناجحة هيأها الله تبارك وتعالى لعبده لتتبلور عنده حقيقة ايمانه . . قالت بيداء : انني مؤمنة يارباب ولكنني لم أقو على المقاومة فأوشكت ان انهار .. فردت رباب قائلة : ولكن الايمان هو قتل الخوف الدنيوي بالتسليم والرضى ، وبالارادة المؤمنة الصالحة القوية يتمكن الانسان ان يجعل النكب طريقاً من طرق القدر في التعليم وقد يكون ابتداء المصيبة في انسان هو بداية تسرب الحكمة اليه اذا تمكن من الثبات امامها .. وسكتت رباب وهي ترى ان عليها ان تدير دفة الكلام لكي لاتثقل على بيداء بنصائحها ، فضحكت وهي تقول : والآن ألم تعرفي كيف اهتديت اليك يابيداء ؟ قالت بيداء وقد عرفت ماتقصده

رباب : لا ولكني اؤمن ان الله هو الـــذي ارسلك إلي مهما كانت الظروف والوسائل ، فأخـــذت رباب تحدثها عن الخيط الذي اوصلها اليها واعقب ذلك بعض الأحاديث العامـــة نهضت على اثرهـــا رباب وهي تستأذن بالخروج فتعلقت بها نظرات بيداء في رجاء وهي تقول : أوسوف تزوريني ثانية يارباب ؟ فترددت رباب برهة ، فهي مصممة على أن تزورها ثانية وثالثـة ولكن طبيعـة الموقف كانت تقتضي أن تقول : وهل ترغبين في ذلك يابيداء ؟ قالت بيداء في تأكيد صادق : نعم فأنا اتمنى ذلك من صميم قلبي يارباب ، قالت رباب : اذن فقـد اتفقنا فأنا أيضاً أتمنى ذلك ولهذا فسوف أعود ان شاء الله .

• • •

كان اللقـاء الثاني الذي جمع بين رباب وبيداء لقاء يسبقه الشوق وتغمره اللهفة . وحاولت رباب أن لاتتسرع في الدخول الى صميم الموضوع بل تنتظر ماتنفذ منه اليه

بشكل يبدو عفوياً ، وفعلا فقد واتتها الفرصة خلال حديث بيداء عن اختها الصغيرة ورغبتها الشديدة في الدراسة حيث قالت : ان حوراء جد مثابرة على دراستها ولكني اخشى ان لايدوم لديها هذا الاندفاع .. فتساءلت رباب : ولماذا؟ فهزت بيداء رأسها في أسى وسكتت ، فأردفت رباب تقول انني اتنبأ ان تتعمق عندها هذه الرغبة ويتضاعف لديها هذا الاندفاع ، قالت بيـــداء : أرجو ذلك ولكني اشك فليس من طبيعة الحيـــاة ان تعطي للنفس حريتهـــا في الانطلاق وتحقيق الرغبـــات . قالت رباب : ولكن ليس من طبيعة الحياة ايضاً أن تغلق أمام الانسان جميع المنافذ ، فليس من حق من يمر بمصيبة ان يخيل اليه ان ايامه القادمـــة ماهي الا سلسلة من المصائب والنكبات ، وليس من حق من يمر بأزمة مالية أن يحسب ان الحرمان قد كتب عليه وان حياته قد اقترنت مع الفاقة ، وليس

من حق من يصادف في حياته نكراناً لجميل أو خيانة لوفاء أو استهانة بعاطفة أن ينظر الى من حوله بمنظار أسود . . وهكذا مهما وجد للشر أثر في الحياة كانت للخير آثار أيضاً ، ومهما تكاثفت الغيوم في سماء الانسان كان من الممكن أن تتلاشى ، ومهما ادلهم الافق الممتد أمام النظر لاينعدم الأمل باشراقة فجر وليد يتلألأ به الافق المعتم الحزين كما قال الله تعالى « فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين » . . قالت بيداء : ولكن المصائب والأزمات على اشكال فمنها ما يصبر عليها ومنها مالا يمكن من ذلك ، قالت رباب : أما النكبات بافتقاد الاعزاء فان المؤمن العاقل المتفهم لحقيقة الحياة وقصة الخليقة التي من الله تبارك وتعالى بها على الوجودليمنحها فرصة التزود من العمل الصالح ولأجل أن يفتح أمامها أبواب السعي لتحقيق مفهوم العبادة الشامل

لجميع نواحي الحياة ، فالعبادة هي كمال للانسان واكمال
لشخصه والطريق الذي يفتح أمامه ادواب البلوغ الى الغاية
القصوى في الحياة الثانية ، الحياة الحقيقية الباقية ، ان تفهم
كل هذا من واقــع الحياة يمكن الانسان من الثبات امام
نكبة افتقاد الاعزاء ، فما دام الانسان قد بدأ لينتهي وما
دامت الحياة تعطي وتأخذ وما دام الاعزة هم السابقون
والمنكوبون هم اللاحقون ، فان من واجب المؤمن العاقل
أن يصمد وان يعرف أن هذا الأمر ليس به ابتدا ولا عليه
اعتدى وليس هو أول من اكتوى بهذه الجمرة اللاذعة وليس
اول من ادمته هذه الشفرة الجارحة ، اما بالنسبة للنكبـة
التي تجرها الفاقة أو يجلبها الحرمان فان الانسان اذا كان
مؤمناً عاقلا عرف ان الفاقة الحقيقية هي الفاقة الروحيـة
والحرمان الواقعي هو الحرمان الأدبي . . هذه هي الفاقة
وهذا هو الحرمان الحقيقيان اللذان يجران على صاحبهـما

شتى انواع الفاقة والحرمان في الحياة ، ومع تمكن الانسان من هذين العنصرين فان الامل بانفتاح المستقبل امامه سوف يصبح املا منطقياً يهبه سعادة الانتظار ولذة ترقب الوضع الأفضل ، ثم ان مراجعة التاريخ ودراسة احوال الامم والشعوب الماضية وتبدل احوالها واختلاف اوضاعها ، وسلسلة الصعود والهبوط لدى افرادها تحدث الانسان المؤمن العاقل ان قلما استمر وضع من الأوضاع على وتيرة واحدة مهما تسامى او تردى ومهما طال او قصر ، كما ذكر ان الرسول (ص) خرج يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك ويقول : لن يغلب عسر يسرين « فان مع العسر يسراً ان مع العسر يسرا » . وقد نظم احد الشعراء هذا المعنى في بيتين فقال :

اذا ضاقت بك الدنيا

تفكر في « ألم نشرح »

تجد يسرين بعـد العسر

ان فـكرته تفـرح

قالت بيداء : ولكن الفقر قد يمنع من مواجهة الحياة

قالت رباب : عن اي طريق يحول دون ذلك ؟ فترددت بيداء ثم قالت : عن طريق الخجل مثلا . . قالت رباب ولماذا الخجل ؟ وليس في الفقر مايخجل ، فقـد يكون لدى الانسان مايخجله من مواجهة الحياة وهو مثقل بحمل ملايينه مثل ان يكون ضعيف الشخصية تافـه التفكير ، او يكون قد جاء بما يتنافى مع الفضيلة وما يخالف خط الاستقامة في الحياة ، اما الفقير المؤمن الذي يشعر باكتفائه الذاتي فهو قد يحسب فقيراً ولكنه في الحقيقة اروع معلم انساني يلقي على الناس دروس نفسه القوية واكتفائه الذاتي في الحياة ، فهو لأجل ذلك سوف يلذ له ان يواجه المجتمع مرفوع الرأس قوي الجنان ، ومتى كان الفقر عيباً وهو كما

سمي في الروايات بشعار الصالحين ؟ أم كيف يعد الفقر مخجلا وهو الامتحان الالهي الذي يصقل فيه الله تبارك وتعالى نفوس عباده فيميز بين الصابر والجازع ، والطامع والقانع كما جاء في الآية المباركة « ولنبلونكم بشي من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ولو كان في الفقر مايشين لما عاشه نبي الانسانية الاعظم محمد بن عبدالله (ص) . وسكتت رباب تنتظر الجواب ولكن بيداء ابتسمت ولم تجب ، فأردفت رباب تقول : ثم ان الانسان المؤمن العاقل يعيش دائماً وأبداً مفهوم هذه الآية المباركة « فلا تعلم نفس ما اخفي لها من قرة أعين» ولا ينظر الى الصدف السعيدة التي تمر بغيره على انها من مختصات سواه فيحسده عليها ويستكثرها عليه ، بل انه يتفاءل بسماعها ويسعد بمشاهدتها بانتظار وصول الدور اليه كما قال الشاعر :

وكم لله من لطف خفي يدق خفاه عن فهم زكي

وكم يسر أتى من بعد عسر ففرج كربة القلب الشجي
وكم أمر تساء به صباحاً فتأتيك المسرة بالعشي
إذا ضاقت بك الاحوال يوماً فثق بالواحـــد الفرد العلي
ولا تجزع اذا ماناب خطب فــكم لله من لطف خفي

وكذلك فان المؤمن العاقل سوف يتمكن من ان يتحكم بعواطفه ويسيطر عليها بزمام الارادة فيما يحب وفي يكره ففي الوقت الذي يصادف خيانة لوفاء او تجنياً على وداد سوف يقدم عقله الحارس ليلقنه ان الخائن غـــير مأسوف عليه ، فهو منذ تلك اللحظة موكول الى قائمة الاهمال ، لا وداد ولا عداء ، لا مديح ولا سباب . . اذن فلم الألم ؟ بل ولماذا الأسف ؟ ولعل تكشف الخائن عن نفسه هو من مصلحته لكي يحول ذلك دون اندفاعه في الاخلاص اكثر فأكثر مع من لا يستحق الاخلاص .
قالت بيداء : ولكن ألا يتألم الانسان اذا قوبل جميـــله

بالنكران وجوزي فضله بالعـدوان ؟ قالت رباب : ان
هذا هو شعور الانسان الذي يتاجر بعواطفه او يرائي بها
وليست من أخلاق الفرد المؤمن العاقل الذي يحسن حباً
بالاحسان ويساعد رغبة في المساعدة ويخلص تمشياً مـــع
طبيعته الصالحة التي تدعوه للاخلاص ، فان هذا المؤمن
العاقل لا يندم على ما أعطى ولا يأسف على ما بذل وان
بقي بدون بدل ، لانه كان مستجيباً بذلك كله الى نداء
الايمان وتعاليم الاسلام ، فهو يزهد في جزاء البشر ويأمل
عما عند الله من مثوبة ورضوان ، ثم ان عمل الخير ماهو
الا طبيعة الانسان المؤمن ، ولهذا فهو لا يبيع ما يمليه عليه
طبعه بالاثمان وحتى لو اراد فان العواطف الخيرة لا تقدر
بثمن مهما كان . . قالت بيداء : الحقيقـة ان العواطف
الخيرة لا تقدر بثمن يارباب ، فأنا مثلا سوف لن استطيع
أن أفي عواطفك تجاهي حقها ، مهما حاولت . . قالت

رباب : أرجو أن تكوني واقعية معي يابيداء واتركي كلمات المجاملة والاطراء ، فان تجاوبك معي هو أغلى ما أتوق اليه الآن ، قالت بيداء : ولكني أرى ضرورة التعبـــير عن المشاعر اذا كانت صادقـــة . . قالت رباب : نعم فان العاطفة الصادقة المنبعثة عن وحـــدة العقيدة والايمان من المستحب لها أن تطبع بعض آثارها في الظـــاهر كما قال الرسول (ص) (اذا أحب احدكم أخاه فليخبره انـــه يحبه) وكما قال الامام أمير المؤمنين (ع) : (لا تجعل المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فان في ذلك تزهيداً لأهل الاحسان في الاحسان وتحريضاً لأهل الاساءة على الاساءة) ، وكذلك الشكر أيضاً ولكنه ينبغي ان يكون شكراً صادقاً معبراً عن الحقيقة لا اكثر ولا أقل .. قالت بيداء : اذن ؟ فأجابت رباب : اذن فان أثمن ماتتحفيني به يابيداء هو انعاطفك نحو افكاري وتجاوبك معها تجاوباً

واقعياً يفتح أمامك أبواب السعادة في الحياة ، فنحن كما نؤمن بوجود الطرق المادية التي تجر الى الشقاء نؤمن أيضاً بأن هناك طرقاً روحية عديدة تقود الى السعادة ، كما قال الامام (ع) : (اصلح آخرتك يصلح لك أمر دنياك) وكما قال أيضاً (اصلح ما بينك وبين الله يصلح الله ما بينك وبين الناس) فليست الأخلاق الاسلامية الا الطريق المهيع الذي يقودنا الى عالم السعادة الواقعية ، ولنأخذ على ذلك مثلا القناعة ، وهي مما يحلي بها الاسلام المؤمنين من افراده ، هذه القناعة كما هي كثيرة معطياتها الروحية لحاملها ، والطمع الذي هو نقيضها والذي حذر منه الاسلام ونهى عنه ، هذا الطمع كم هي قاسية نتائجه وآثاره لدى الانسان . قالت بيداء : لقد فتحت لي يارباب بكلماتك هذه أبواباً من الأمل لم اكن أحلم بوجودها من قبل . قالت رباب : وهذه الأبواب هي التي سوف تبرز

هذه الآمال الى حيز الوجود ، فالأمل يبعث الى العمل والعمل يؤدي الى تحقيق المأمول ، وهكذا بالنسبة لليأس فاليأس يورث العجز والعجز يقود الى الفشل ، والفشل هو أصدق مفاهيم اليأس. قالت بيداء : سوف لن أيئس يارباب وسوف أتسلح المذلك بسلاحك الذي قدمته الي ، سلاح الايمان عسى أن أعود فأزهو بارادتي من جديد. قالت رباب : لا تقولي عسى يابيداء بل قولي انني سأزهو بارادتي كما لم أزه بها من قبل ، فالايمان هو الذي يهب النفس الاطمئنان على زلازلها وكوارثها ، واذا لم يكن كذلك فما هو الا دعوى باللسان فقط ، وغريزة الايمان هي نفسها معنى الرضى بالقدر خيره وشره ، فتبرز هموم الدنيا ونكباتها داخل اطار من المعاني الشريفة التي تنتزع منها شرها وأذاها للنفس فيستحيل الفقر الى احد انواع الزهد ويصبح المرض ضرباً من الجهاد ، والخيبة طريقاً

الى النصر ، والحزن بلورة للروح ، وهكذا يستحيل البلاء الى ثواب وحسنات . قالت بيداء : أرجو أن اكون كذلك يا اختاه ، قالت رباب : ان كلمة أرجو تدخل على الأمر الذي لابد لنا بايجاده ، اما الاتجاه الى الله والسير على هداه فهو ما نتمكن أن نختاره بأنفسنا ونحتمه بمطلق حريتنا ، أتعلمين يابيداء كم هو لذيذ هذا الشعور ؟ شعور الانسان الذي اوكل امره الى القدرة الالهية ، القدرة الحقيقية في الوجود « إن ينصركم الله فلا غالب لكم » أتدرين يابيداء كم هو رائع هذا التكييف الروحاني للنفس الانسانية تكيفها لعبادة الله بكل معاني العبادة التي تشتمل كل شيء حتى الصبر على المكاره والثبات في الشدائد .

اذا لم يكن عون من الله للفتى فأول مايجني عليه اجتهاده

وكما قال الامام (ان الله بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا ، وجعل الهم والحزن في الشك

والسخط) قالت بيداء : اذا كان انفلاتي على مشاعر اليأس هو الذي قادك نحوي فهل سيضع انفتاحي للأمل نهاية لمهمتك بالنسبة الي ؟ أقصد هل ستتركيني بعد أن تطمئني الى تحقيق غايتك يارباب ؟ قالت رباب: وكيف لي أن اتركك يابيداء وتحقيق غايتي هو أقوى حبل يشدني اليك لانه قام على أساس الايمان ، وربطة الايمان هي أقوى رابطة لدي ، بل هي الرابطة الحقيقية التي اؤمن بوجودها ، فأنا لا اعترف بارتباط يقوم على اساس كلمات مجاملة أو ضحكات مرح ، ولا اقر اتصالا تتحكم فيه بروتوكولات واتيكيتات ، وأنا اؤمن أيضاً ان أية صلة لا تستمد وجودها من الوحدة الفكرية الصالحة والاتجاه الروحي الخير سوف لن تمتلك مقومات الاستمرار مهما طالت أو تعمقت ، لأن الصلة بين اثنين لابد لها ان تستند الى قاعدة تدعو اليها ، وليس هناك قاعدة ثابتة

لدى الانسان عدا القاعدة الفكرية والروحية ، والا فطبع الانسان وذوقه وانفعالاته العاطفية ما هي الا عرضة للتقلبات والتغيرات ، ومع تقلبها وتغيرها تتلاشى معالم الصـــلات التي كانت قد نشأت منها ، ولهذا فان صلتي يابيداء سوف لن تمحوها يد الأيام مهما كانت ، بل انها سوف تتعمق مع تعميق افكارك المؤمنة ان شاء الله ، قالت بيـــداء : اذن فما أحلى الايمان الذي من مكاسبه اخوتك الصادقـة يارباب ، قالت رباب : وما أحلى الايمـــان الذي يفتح القلوب للمؤمنـــين يدخلونها بدون استئذان ، وما أحلى الايمان الذي يتسع بقلب المؤمن حتى يشمل العالم بحبـــه ويسبغ على الدنيا الخيرة رحمته وحنانه ، كما وصفت الآية المباركة التي تقول « محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » قالت بيـــداء : ولكن القلة هم الذين يبنون صلاتهم على أمثال هـــذه الاسس

الثابتة قالت رباب ولهذا ترين فشل أغلب العلاقات وانفصام العديد من الصلات بل تحولها الى صلات عدائية في أغلب الحالات ، قالت بيداء : اذن فان صلتنـــا سوف تبقى ثابتة مع أنفاس الحياة التي تتردد ، قالت رباب : نعم ما دام الايمان رائدنا والصلاح هادينا ، وسوف ترين كيف تحقق لك هذه الصلة اشكالا من الولاء الصادق في الجهر والخفاء والتضحية الخالصة حتى في الستر والمساندة والمعاضدة في جميع الحالات ، فان من طبيعة المؤمن أيضاً أن يساند اخاه المؤمن ، يقف الى جانبه حتى أمام الملأ ليشد من أزره ويقوي معنوياته ، قالت بيداء : نعم ان خير التضحية ما كان مستتراً وافضل المساندة ما كان ظاهراً ، فلا خير في مساندة مخفية ولا خـــير في تضحية مكشوفة ، قالت رباب : وسترين أيضاً يابيـــداء كيف سيستحيل محيطك الذي ستقيمين بنيانه بوحي من هدى الايمان كيف سيستحيل

الى محيط هادىء مريح يهبك الراحة والأمان ، لاعتاب ولا اعتذار ، لاعقاب ولا جزاء ، لا عداء ولا اعتداء ، لاظن سوء ولا تضخيم مشاكل ، لان جميع هذه الحالات تستند الى جذور قد نهى عنها اسلامنا ، قالت بيداء : لقد شوقتني الى هذا الحلم الساحر يارباب ، قالت رباب: انه ليس حلماً يابيداء ، بل انه الحقيقة بعينها والواقع الذي تعيشه كل مؤمنة واعية لطبيعة الايمان ، قالت بيداء اذن فسوف اعيش الى جوارك يارباب ان شاء الله ، فأردفت رباب تقول : نعم ان شاء الله يابيداء .

بنت الهدى

الفهرست